

ارتعالات في ملكوت السموات

سبع حكايات عظيمة

صباح الانبياء



ارتحالات في ملكوت الصمت



دار الشؤون الثقافية العامة
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات الى
رئيس مجلس الادارة.

العنوان:

العراق - بغداد - اعظمية

ص . ب . ٤٠٢٢ - فاكس ٤٤٤٨٧٦ - هاتف ٤٤٢٦٤٤
البريد الالكتروني dar@uruklink.net

إرتعالات في ملكوت الصمت

مسرحيات صامتة

صباح الأنباري

الطبعة الأولى / بغداد / ٢٠٠٤

المسرحيات الصوامت من
الفعل إلى التجنيس

— المسرحيات الصوامت من الفعل إلى التجنيس

قبل بدء اشتغالنا على هذه الموضوعة المركزية (التجنيس) وجدنا أن من الضرورة بمكان ذكر ما ورد عنها في (لسان العرب) فالجنسُ هو: "الضرب من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة. والجنس أعم من النوع ومنه المجانسة والتجنيس". وهو عندنا تفعيل نوع جديد (المسرحيات الصوامت) يبنى على سابق له (البانتومايم) ويسعى إلى مخالفته، ووضع اشتراطات وموجهات يتأسس عليها هيكل صرحه الجديد. لقد استطاعت المسرحية الحوارية الصائتة . كفن درامي . أن تجنس نفسها أدبياً عبر العصور، وأن تصبح فرعاً من فروع الأدب العربي والعالمى نظراً لامتلاكها قدرة لا تدانيها قدرات الفنون الأخرى في المزوجة بين الفن والأدب. فالسيناريو على سبيل المثال نص غير قابل للقراءة الأدبية، وليس فيه ما يغري القارئ على ذلك. وكذلك نص العرض الصامت الـ(Pantomime) إن وجد فإنه يركز على جملة من التوجيهات تعنى بحركة الممثل وترسم مخططاً لها في كل لحظة من لحظات الفعل على الخشبة. إنه فن بصري يشغل على الصورة المرئية استطاع أن يستقل بذاته وأن يجنس نفسه فنياً ويحتل موقعا له بين الأجناس الفنية الأخرى، وان يقدم نفسه كحاضن لأفعال حركية تختزن طاقات تعبيرية وإيحائية لا يستهان بها. وظلت موجهات الفعل النظرية، وسيناريوهات ومخططات الأعمال السكرتية مهيمنة على حدود هذا الفن. ولم يستطع عبر تاريخ تطوره من استخدام اللغة الأدبية كأداة لإيصال النص إلى المتلقي فمؤلف العرض الإيمائي وهو مخرجه في الوقت نفسه أيضاً لا يحتاج إلى اللغة الأدبية قدر حاجته إلى تثبيت التوجيهات السيناريوهاتية. أنه يحتاج أن يقول نصه للممثل اعمل كذا وكذا. بمعنى أنه يطلب منه تحديداً القيام بفعل لإشباع رغبة، أو الوصول إلى هدف ينبغي أن يتحقق على خشبة المسرح ضمن العملية الدراماتيكية الصامتة.

البانتومايم إذن يحتاج إلى الفعل لا القول، وان هذا الفعل يحتاج إلى دالات توضع في سياقات خاصة لتؤدي إلى مدلولات ذات معان محددة، ومقصودة كما هو حال الفن المسرحي الحوارى الصائت الذي دخل ميدانه التخصصي في الأدب العربي، والعالمى على حد سواء. إلا أن

الحاجة إلى إيجاد أشكال تعبيرية جديدة قادرة على استيعاب الطاقات الإبداعية المحاصرة بالتهريج، والضجيج، والثرثرة العالمية عبر وسائل الإعلام الضاجة بالأقوال، والابتذال هي التي فرضت ضرورة البحث عن الشكل الذي يتقاطع مع كل أشكال الزعيق العالمي. ومن هنا فرض البانتومايم نفسه على الواقع والمبدع في آن، ووضع أمر تجنيس نفسه أدبياً موضع التفكير والتنفيذ فابتدع نظاماً متكاملًا من الإشارات، والإيماءات، وحركات الجسد التي تشكل بتداخلها، وتضافرها حواراً مع الموجودات يتمكن من خلاله إيصال المعاني المختلفة إلى جمهور النظارة. ولم تقتصر هذه المعاني بطبيعة الحال، بعد أن طور البانتومايم قدراته الأدائية، على بضعة أفعال حركية بهلوانية يقوم بها الممثل بمهارة. بعد طلاء وجهه بالألوان المتباينة. وإنما تعدت ذلك إلى تضمينها قصة، وحبكة، وموضوعة، وشخصاً كلها تؤدي دوراً مهماً متضامناً مع الموضوعة الإنسانية للعرض والنص، وهذا هو الذي أهله ليكون قابلاً للقراءة كخطاب أدبي فضلاً عن كونه جنساً فنياً يعمل على زحزحة الأجناس الأخرى ليحتل له رقعة واسعة ومتميزة.

الإنسان يعقل بصرياً أكثر مما يعقل سمعياً

يقول الناقد العراقي على مزاحم عباس في إطلالته التاريخية على فن التمثيل الصامت: "يرجّح مؤرخو المسرح أن حضارات الشرق القديم في مصر والصين واليابان قد عرفت التمثيل الصامت مثلما عرفته اليونان فهو فن عريق عراقية الحضارة الإنسانية رغم ارتباط سمعته بالعبيد والعنقاء مما حفر بينه وبين الشعراء والفلاسفة حفرة واسعة لم تزد إلا بصورة محدودة ومتأخرة"⁽¹⁾ وتعد رقصات (الساتير) الطقوسية البذرة الدرامية الأولى لفن ال(Pantomime) لاعتمادها على الحركات، والإشارات، والتشكيلات التعبيرية التي عن طريقها تقدم فرائض الطاعة، والحب، والقداسة لتمثال الإله ديونيسوس، الذي يوضع عادة في مقدمة المسرح من جهة، ولارتداء الراقصين جلود الماعز (أقنعة) التي تجعل أنصاف أجسادهم شبيهة بالآلهة من جهة أخرى. ولم يتطور الرقص الساتيري تطوراً ملحوظاً، وملموساً باتجاه (البانتوميم) ذلك لارتباط سمعته بالعبيد، ولأن الفلاسفة، والشعراء لا يسمحون لأنفسهم النزول إلى مستوى أولئك الأرقاء ولم يكلفوا أنفسهم مشقة الكتابة عن أي شيء يخص هذه الفئة الاجتماعية المتدنية. في الوقت الذي كتبوا فيه عن تطور الفواجع الساتيرية إلى المآسي (التراجيديات) على أيدي عمالقة المسرح الإغريقي الأوائل: ثسيبس، وأسخيلوس، وسوفوكليس، ويوريبيدس. ووضع شيخ فلاسفة العالم أرسطو كتابه الشهير (فن الشعر) الذي يعد أفضل وأقدم المراجع في أصول المأساة والكوميديا. لقد كانت الفاجعة الساتيرية كما يقول الدكتور محمد غلاب: "تتمثل في عنصرين: الأول الإشارات والحركات، والثاني التأثر والانفعال"⁽²⁾

ولرفعة وسمو الموضوعة التي تعرضها الفاجعة الساتيرية لارتباطها مباشرة بالآلهة كان لا بد من اختيار هذا الشكل المهذب الذي يليق برفعتها وسموها. صحيح أن الرقص منبع الفرح الأعمق تعبيراً عن السعادة البشرية إلا أنه في حالات كثيرة أوقع تعبيراً عن الحزن والفواجع منه إلى الفرح الإنساني. لهذا كان الساتير يحمل في داخله بذرة الدراما التي نمت وتطورت وأصبحت على الشكل الذي عرفت به يوم ذاك بالمسرحيات التراجيدية.

كان الإغريق القدامى يعتقدون بعودة الإله إليهم كل سنة نهاية الشهر الثالث، وان باخوس أو ديونيسيوس يأتي مبشراً بالخصب، والنماء. وبأوبته يحل الربيع عليهم مرة أخرى لهذا يحتفلون ويبتهجون بمقدمه يرقصون، ويغنون، ويقومون الشعائر، والطقوس ليرى الإله كيف يشكرونه ويحمدونه جهاراً. أرادوا أن يكون الأبصار بالعين المجردة لا القلب طريقاً للبرهنة على إيمانهم بعودته كل عام وليغرزوا فيه. وهو الحاضر بينهم. أوبته المنتظرة ولتؤدي المشاهدة الحية الفاعلة سواء من قبل ديونيسيوس الإله، أو من قبل جمهرة المشاهدين إلى ذلك الهدف. لقد أدركوا بفطرتهم أن المشاهدة بالعين أكثر يقينية، وأوقع تأثيراً، وأدق برهاناً على صحة المعتقد. وان للعين إمكانية على عقلنة الأحداث أكثر بكثير من الأذن التي تنقل الأحداث إليها على شكل أصوات يفسرها الدماغ محولاً إياها إلى صور واضحة، ودقيقة خلافاً للعين التي تتحول صورها مباشرة إلى مضامين يقينية. لقد اعتمد ال(بانتومايم) هذه الحقيقة واشتغل عليها منذ مطلع القرن العشرين حين تأسست أكبر مدارسها في بولندا، والمانيا، وبريطانيا، وفرنسا. واستطاع مبدعون كبار مثل بارو، ومارسو أن يطوروا هذا الفن. وان يضعوا له القواعد والأصول. واستطاع مارسو بحق: "أن ينزل الكلمة المنطوقة عن عرشها المسرحي ليأخذ الصمت

تلك القوة الأسرة مكانها ولتلتحم عناصر الصمت والحركة بخيال المتفرج في دائرة محكمة"⁽³⁾ لقد ابتعد مارسو بالبانتومايم عن التهريج، والبهلوانيات، والألاعيب المرتجلة وجعله فنا قائماً بذاته على الرغم من انه لم يستطع التخلص من استعراض مهاراته التقليدية.

لقد ظلت عروض البانتومايم، لوقت طويل، منفردة يؤديها ممثل واحد يقوم بكل الاستعراضات الإيمائية بزمن قصير نسبياً نظراً للجهد الكبير المضني الذي يبذله الممثل. ينقل لنا الأستاذ علي مزاحم عباس عن بارو قوله: "إن كل نصف ساعة من التمثيل الصامت بقدر مسرحية ناطقة ذات خمسة فصول"⁽⁴⁾ ومع ذلك طلع علينا عدد من فناني البانتومايم بعروض ثنائية، وثلاثية اشتهر من بينهم الأخوان ميروسلاف، وثاديوس. والثنائي سمير ونمير وهما من تلامذة مارسو. وبعد تطور البانتومايم فناً، وتقنياً ازداد عدد الممثلين زيادة غير محدودة ولا محددة إلا بمقتضيات العمل المعروض على خشبة، وظهرت أعمال مبدعة على الصعيد المحلي تضمنت عدداً غير محدد من الممثلين كمسرحية (قصة شعب) و(حلاق اشبيليه) و(جحا والحمامة) إن

الفنانين الأوائل الكبار كانوا ينظرون إلى فن التمثيل الصامت على انه: "فعل قبل كل شيء. فعل يدور في لحظة ما. هذا الفعل ينبغي على الفنان أن يوضحه بقدرته ومواهبه التمثيلية"⁽⁵⁾ وقد أدت هذه النظرة، والالتزام بها إلى تأخر الرواد عن القيام بتجارب جديدة على صعيد الكتابة. وظل نتاجهم أسير الخشبة فقط؛ ولم يجنس أدبياً باستثناء بعض المحاولات المفردة التي قام بها بعض عشاق هذا الفن. ولنا في مسرحية صموئيل بكيت (فصل بلا كلمات) مثلاً رائداً للمسرحية الصامتة التي تقرأ وتمثل وتكاد تكون المثال الوحيد الذي ترجم إلى العربية ونشر محلياً في مجلة (المسرح والسينما) العراقية وراح ينهج عليها بعض فناني البانتوميم عروضهم الصامتة. وعلى الرغم من ذلك ظلت المسرحية الصامتة أسيرة الشكل التقليدي الذي أرسى دعائمه كبار رجالات هذه الفن ولم يجرؤ أحد على تجنيسها أدبياً لأن تجنيسها يتطلب جهداً، ودراسة بحرفية المسرح، وأصول الإخراج، وقدرة أدبية ولغوية على توصيف الفعل الدرامي، واستثمار إمكانيات الفنون الأخرى كالموسيقى والباليه والرقص والاكورياتيك.

فصل بلا كلمات

إن مسرحية صموئيل بكيت (فصل بلا كلمات) كتبت لخشبة المسرح. ولم يفكر الكاتب حينها بتجنيسها كمادة للقراءة الأدبية. لقد نحى عنها الكلمات مستبعداً اللغة المنطوقة ولكنها مع ذلك احتفظت بجهازيتها للقراءة. وربما لهذا السبب انفردت بإمكانية نشرها وتقديمها للقراء الاختصاصيين كمادة فنية للقراءة الاختصاصية حسب. لقد كتبها بكيت بدافع التجريب الذي شغف به فكتب في الأجناس الفنية المختلفة كالسيناريو الذي قدمه تحت عنوان (فيلم) أخرجه ألان شنايدر ومثله بولستر كيتون، والاسكتش الإذاعي الذي كتبه تحت عنوان (اسكتش إذاعي رقم 1) والمونولوج (لعبة الركبي) والمونودراما (شريط كراب الأخير) فضلا عن عدد من التمثيليات الإذاعية والمسرحيات القصيرة والطويلة.⁽⁶⁾

المسرحية بمجملها تعتمد على ممثل واحد. جرياً على التقليد السائد في هذا الفن. يقوم بعدد محدد من الحركات والإيماءات لتوصيل معنى أرادته المؤلف أن ينطلق من فهمه وفلسفته للوضع البشري السائد آنذاك، وما ينطوي عليه من عبث، ولا معقولة، واغتراب. في (فصل بلا كلمات) يقذف بالإنسان مرغماً. إلى وجود صحراوي قاحل. منفرداً في مكان منعزل تنقصه أبسط مقومات الحياة البشرية، والاجتماعية. لا أمل له في الأرض، ولا أمل له في السماء. مطروداً من الأرض، ومنبوذاً في السماء يقول الأستاذ شفيق المقار في مقدمة ترجمته لنصوص يونسكو:

"ولا يصدمن القارئ. وليتدبر أولاً ما آلت إليه الحضارة الغربية المعاصرة من مادية ممعنة أدت جنباً إلى جنب مع الفشل الإنساني الأخلاقي الذي انتهت إليه المسيحية التاريخية إلى إقفال من الآلهة بالنسبة للإنسان الغربي"⁽⁷⁾

إن القوى الأرضية . في هذه المسرحية . متضامنة ومتحالفة مع القوى الأخرى على إحاطة الإنسان بأسوار، وعوالم كابوسية مخيفة تدفعه نحو الموت دون أن تترك له فرصة العيش بأمان. وتجعل حياته صعبة إلى حد لا يطاق وتسفهاها حد جعلها لا تستحق أن تعاش. وهذا هو حال الرجل الوحيد المستلب في عالم الخواء الذي شيده بكيث بطريقة تدل على فلسفة وضع لبناتها، وشيد بناها انسجاماً مع فهمه العميق، ووعيه الكبير لما آلت إليه الحضارة الغربية المعاصرة من مادية "أفقدت الإنسان الغربي الأمل الأخير الذي منى النفس به بعد ضياع كل قيمه الروحية القديمة" (8) يصف لنا بكيث حال (الرجل) في مستهل مسرحيته (فصل بلا كلمات) بالشكل الآتي:

صغير من الجنب الأيمن

يفكر، يتجه إلى اليمين،

يقذف به فوراً إلى المسرح

يسقط، ينهض فوراً، ينفض التراب عن نفسه يستدير جانبا. يفكر

صغير من الجنب الأيسر

يفكر، يتجه يساراً

يقذف به فوراً إلى المسرح (9)

يسقط، ينهض فوراً ينفض التراب عن نفسه، يستدير جانباً. يفكر

أو ينبغي عليه أن يفكر كمبعد عن مجتمع الإنسانية بالأداة أو الأدوات التي تعيده إلى ذلك المجتمع بالرغم من خوائه، وعبثيته، وتلوثه، وانهيائه الأخلاقي. ولكنه يجد نفسه وحيداً منعزلاً، ومنزوعاً من طبيعته البشرية ليس له غير رحمة قوى علوية مجهولة، وقوة يديه. وإذ تنزل عليه تلك القوى بعض أدواتها فأنها تعمل على حرمانه منها بجعلها بعيدة عن متناول يديه كلما وصل إليها أو حاول الإمساك بها. ومن بين تلك الأدوات الضرورية لإدامة حياته (قارورة الماء) الذي يفشل بالوصول إليها عن طريق استخدامه المكعبات الثلاثة، والحبل، والمقص الكبير. مما يعنى له استمرار الجفاف، والجذب، والخواء لمضاعفة شعوره بلا جدوى الحياة، ولا معقوليتها من جهة. وحتمية مصيره الذي يعجل بدفعه نحو الانتحار من جهة أخرى (10). وإذ يدرك كل هذا، ويعيه فانه يحاول جاهداً تكرر المحاولة مرة تلو أخرى. حتى يصل في النهاية إلى اليأس فيطرح أرضاً دون حراك، ودون أن يمد يده ثانية إلى القارورة حتى عندما "تنزل من الأعلى وتتوقف على مسافة بضعة أقدام من جسده" (11) وهذا هو عين ما أرادت الحضارة الغربية لإنسانها الغربي الذي خسر كل شيء ولا أمل له في أي شيء وليس له سوى التطلع إلى يديه القويتين والعاجزتين حتى النهاية.

هكذا يظهر مسرح اللامعقول ليسخر "من عبثية الحياة المفعمة بالزيف، والكذب من ذلك الغثيان من أولئك البشر الذين يخفون وراء حركاتهم وأحاديثهم حيوانية مخيفة.. حتى أنك تتساءل لماذا يحيا هؤلاء الناس؟ إحساس بالجذب والموت والآلية" (12، 13) لقد أوقف بكييت حركة الممثل متعمداً، وأنهى مسرحيته عند هذه النقطة مختتماً إياها على الخشبة لتبدأ ثانية في الحياة من نقطة التثوير التي بلغها المشاهد وهو يرى ما حدث لقرينه (الرجل) على خشبة المسرح.

إن إلقاء نظرة شاملة على هذا النص كفيلة بجعلنا نحكم على تضمنه حبكة غير معقدة، وفكرة واضحة، وقصة استطاع بكييت بوساطة الحركات، والأفعال إيصالها إلينا كصور ذات دلالة تدركها العين، والمخيلة على حد سواء. الأولى عبر مشاهدتها مجسدة على خشبة المسرح، والثانية عبر صورتها، وتشكل صورها داخل المخيلة من خلال قدرة الكلمات على ذلك التشكيل الصوري وهي قدرة تتكفل بترتيب صور النص ترتيباً يؤدي في النهاية إلى معنى مقصود تسهل قراءته قراءة شبه أدبية. من هنا يعتبر نص بكييت (فصل بلا كلمات) نقطة الانطلاق المهمة الأولى نحو تجنيس المسرحية الصامتة تجنيساً أدبياً إلا أن أحداً من الكتاب المسرحيين لم يكمل بشكل واضح، وجلي ما بدأه بكييت ولا حتى بكت نفسه. وظلت المسرحية الصامتة رهينة الخشبة باستثناء بعض المحاولات التي شيدت لها أصولاً، وقواعد درامية جديدة تلاءمت في طبيعتها مع مضامينها المعقدة المتشعبة التي تعنى بقضايا الإنسان المعاصر، ومعاناته الداخلية والخارجية⁽¹⁴⁾ وبالرغم من محدودية هذه المحاولات وتواضعها إلا أنها استطاعت أن تثبت بعض أسسها التجنيسية.

لقد عملت منذ 1994، عندما نشرت أول مسرحية صامتة في صحيفة (الثورة) العراقية تحت عنوان (طقوس صامتة) على إرساء دعائم هذا الجنس الجديد معززاً إياه في مجموعتي المسرحية الأولى فكانت إيداناً بولادته، وتبشيراً بولادات أكثر نضجاً، واستكمالاً لعناصره الدرامية، والأدائية. لقد جاء انصرافي، واهتمامي، وانشغالي بالصوامت نتيجة عدم قدرة الأجناس الأخرى على استيعاب شبكة أحلامي الواسعة. فالقصيدة التي كتبتها منذ بواكير حياتي الأدبية، وكذلك القصة القصيرة، والمقالة النقدية، والصحفية كلها لم تستطع احتواء تلك الشبكة الهائلة من الأحلام، والرؤى. وكنت على الدوام أبحث عن جنس يصهر كل هذه الأجناس في بوتقة واحدة ثم يصاهر بينها وبين اهتماماتي الأخرى في الإخراج المسرحي، وفي الموسيقى، والتصوير، والاكروباتيك. وهذا هو ما أشار إليه الناقد المسرحي العراقي بلاسم الضاحي في تناوله لعدد من تلك الصوامت قائلاً:

"من هنا بدأ الانباري صائناً بأدواته الصامتة محاولاً تجنيس ما أنتجه ضمن جنس (الأدب المسرحي) المقروء أدباً والمرئي مسرحاً مازجاً ومستفيداً من أجواء الفنون الأخرى مثل خلق الصورة التشكيلية في حقيقة كونها تشكيلاً مرئياً. ومن اللقطة السينمائية لما لها من مدى تعبير

غير اعتيادي. ومن الرقص في تقديم الحركة المنسقة. ومع الموسيقى في قدرتها على تأليف الجملة الإيقاعية الزمنية. ومع الشعر في قدرته على تأليف الصورة الخيالية المبتكرة. ومع المسرح في قدرته على خلق كثافة درامية الحدث. هذه المحاولات في مزج الفنون بعضها ببعض وإخفاء الحواجز الفاصلة بينها خلقت منتجاً جديداً تشترك فيه اللوحة والكلمة المرئية والموسيقى والحركة سمات التشابه ونقاط التلاقي في هذه الفنون خلق منها (الأنباري) منتجاً جديداً هدفه إثارة المتلقي جمالياً ودلالياً" (15)

إن المنتج الجديد (الصوامت) وعلى وفق ما كتب منها، ونشر، وعرض على خشبة المسرح صار يستند على الأسس الآتية:

1. اشتغالها على التشكيل الصوري واعتماده كأداة من أدواتها الأساسية. فالصورة (16) تحتاج إلى فعل، والفعل يحتاج إلى حركة، والحركة تتأسس على رغبة أو هدف، والهدف يبرر الحركة، والحركة تعطي الفعل هيئته النهائية، وبذلك تتشكل الصورة، ويتشكل معها معنى محدد. بتقارب الصور، وتعاقبها، وتساوقها، وتداخلها يتشكل المعنى العام في هيئة نص مدون على الورق أو عرض قائم على الخشبة.
 2. تضمنها قصة أو حكاية تراثية أو معاصرة مستفيدة من العناصر الدرامية في بنائها وأسلوبها. فهي مزوجة دقيقة بين القصة كأدب، والمسرحية كفن.
 3. اعتمادها على خطة إخراجية مرنة ممكنة التنفيذ على الورق والخشبة في آن واحد.
 4. عدم انغلاقها على مخططها الإخراجي وانفتاحها على الرؤى الإخراجية المختلفة أتاحت للمخرجين فرصة العمل عليها كل حسب رؤيته الخاصة.
 5. مخاطبتها العالم بلغة كونية تقربها من كل سكانه دون وساطة الترجمة، والنقل (في حالة الأداء على الخشبة) فهي تعتمد على لغة الجسد (الإيماءة، والإشارة، والحركة) الأقدر على البوح، والأبلغ في التعبير عن خفايا الذات، وإرهاصات، ومعاناتها، ومفارقاتها، وتوافقاتها. والأمثل في تمثل الحالات الحلمية الملحة، والأفكار الشاردة التي ما تكاد تمسك بواحدة منها حتى تتابع أخرى في مطاردة مستمرة للظفر بهن جميعاً.
- لهذه الأسباب كلها عملت بجد ودأب دعوب كي تحصد الصوامت ثمرة جهد متواضع في تجنيس فن البانتومايم تجنيساً أدبياً يجعله قابلاً للقراءة كنص أدبي من على الورق، وكعرض درامي على الخشبة يصب في مصب جر الاهتمام، والانتباه إلى الكتابة عن هذا الجنس الفني الأدبي الذي عرف تحت يافطة فن البانتومايم وجنّس تحت يافطة المسرحيات الصوامت. وقد كتب الناقد الروائي العراقي سعد محمد رحيم عن قدرة الصوامت القرائية هذه . بعد أن أشار إلى لذة قراءة الرواية التي تجاريها لذة قراءة النص المسرحي الحوار الصائت . متسائلاً:

"ولكن ماذا عن النصوص المسرحية الصامتة التي تُكتب في بضع صفحات، في شكل تخطيطات وتوجيهات إخراجية، من أجل التمثيل، هل يمكن أن تتحول إلى نصوص أدبية قابلة للقراءة، يقرأها المرء كما يقرأ القصص القصيرة والقصائد الشعرية؟. ألا تتطوي عملية كتابة نص مسرحي صامت بقصد تقديمه للقراءة على عنصر مجازفة؟. ولكن، أليست الاكتشافات الكبرى للإنسانية، في حقول العلم والأدب والفن وبقية أنشطة البشر كانت نتيجة المغامرة والمجازفة غالباً؟

هذا، على وجه التحديد، ما حاول أن يفعله صباح الأنباري، الكاتب والفنان المسرحي، وهو يتصدى للكتابة في هذا الحقل البكر في ساحة الإبداع على الأقل. فمنذ مطلع تسعينيات القرن المنصرم دأب الأنباري على تجريب كتابة نص مسرحي صامت يمكن أن يُمثل على خشبة المسرح، وهذه غاية كل نص مسرحي، ولكن هو معد للقراءة أولاً مثل أي نص أدبي آخر. ففي الوقت الذي انشغل فيه الأدباء من شعراء وقصاصين وروائيين تحت ضغط هاجس التحديث لإبداع نص مختلف، اشتغل الأنباري بموازاتهم في مجال الكتابة المسرحية، ونصب عينه اجترح جنس أدبي له قرابة مع الشعر والقصة القصيرة والسيناريو السينمائي، ناهيك عن المسرح". (17)

إشارات وإحالات

(1) فن التمثيل الصامت في العراق . علي مزاحم عباس . مجلة الرواد . العدد الفصلي الأول 1999

(2) مصايح المسرح الإغريقي . تأليف د.محمد غلاب . الدار القومية للطباعة والنشر

(3) فن التمثيل الصامت في العراق . علي مزاحم عباس . مجلة الرواد . العدد الفصلي الأول 1999

(4) المصدر السابق

(5) المصدر السابق

(6) مسرحياته: 1953 في إنتظار غودو/ 1957 نهاية اللعبة، كل الساقطين، فصل بدون كلمات 1، شريط كراب الأخير . 1958 الجذوات./ 1959 فصل بدون كلمات ج 2. 1961 الأيام السعيدة./ 1962 كلمات وموسيقى./ 1963 Cascando مسرحية، الفيلم/ 1966 Eh Joe، تعال وإذهب./ 1969 نفس./ 1972 Not 1 / 1976 تلك المرة، وقع الأقدام، ثلاثية الشبح./

Ohio 1981 / (إذاعية) But the clouds 1977 نموذج مونولوج لعبة الركبي. /

Nacht und Traume 1983 / Imprompyu الزوايا الأربعة، الكارثة. /

What Where 1983

(7) مسرحيات طلبعية . تأليف صموئيل بكيت . ترجمة وتقديم شفيق مقار. سلسلة مسرحيات عالمية 1996

(8) العبث . تأليف البيركامو . ترجمة سالم نصار . دار الاتحاد . بيروت.

(9) مجلة (المسرح والسينما) مسرحية (فصل بلا كلمات) لصموئيل بكيت العدد الثالث ص 30

(10) راجع كتاب (العبث) لالبير كامو

(11) مجلة (المسرح والسينما) مسرحية (فصل بلا كلمات لصموئيل بكيت العدد الثالث ص 30

(12) مسرح العبث مفهومه وجذوره وأعلامه . الدكتور نعيم عطية . سلسلة مسرحيات عالمية 1970

(13) راجع مسرح اللامعقول وقضايا أخرى . يوسف عبد المسيح ثروة . منشورات مكتبة النهضة . بغداد 1980 .

(14) راجع (طقوس صامته) وهي مجموعة مسرحيات ضمت ثلاث مسرحيات صائتة وثلاث محاولات جديدة في كتابة المسرحية الصامتة كتابة تصلح للخشبة كعرض مسرحي وللقراءة كنص ادبي/ المجموعة صدرت عن دار الشؤون الثقافية في بغداد عام 2000م.

(15) راجع مقالة الأستاذ بلاسم الضاحي (غياب اللغة وحضور الفعل) جريدة الاتحاد . العدد 1999 . التاريخ 3 / 12 / 2008

(16) راجع الحوار المنشور في مجلة (المشهد) العراقية العدد 4 شتاء 2001.

(17) راجع مقالة الأستاذ سعد محمد رحيم المنشورة في صحيفة المدى البغدادية الصادرة بتاريخ 2010/7/3 تحت عنوان (البانتومايم نصاً أدبياً.. قراءة في نصوص صباح الانباري).

الالتحام في فضاءات الصمت

نشرت في سلسلة (الق) مشهد ديالى الثقافي (1) خريف 1999 .

الصامتون:

الكهول الثلاثة

الممثل الأول

الممثل الثاني

حملة التابوت

امرأة التابوت

حالما تطفأ الأضواء نسمع من خلال الظلام موسيقى خوف وترقب .. تفتح الإضاءة متناوبة باللون الأحمر والأزرق والأصفر فتتاح لمن في الصالة فرصة مشاهدة الكهول الثلاثة وهم يقفون على مدرج مرتفع نسبياً عن خشبة .. يقوم الكهل الأول بحركات تشبه إلى حد ما حركات الكهنة أو السحرة بينما يظل الآخران بلا حراك .. تستمر الإضاءة على حركتها المتناوبة لفترة ثم تتوقف مع ضربة أرغن قوية .

*

يضيء الممثل الأول (بالزي الأبيض) ، طريقه من الصالة إلى الخشبة ، بواسطة مصباح يدوي أو شمعة .. يتبعه الممثل الثاني (بالزي الأسود) كما لو كان ظلا له .. يتقدمان بخطى موحدة إلى الخشبة .. يصعدان .. يستمر الأول بالسير إلى منتصف الخشبة ، دون أن يستدير .. يتوقف على منطقة وسط الوسط وكأنه أحس بوجود شخص يتبعه .. يتوقف الثاني أيضا .. يصوب مسدساً إلى رأس الأول مباشرة .. تضاء الخلفية (السايك) بإضاءة حمراء تدريجياً .. يطلق النار .. يطلق الأول صرخة صماء .. يتألم يختل توازنه قليلا .. يستدير ليواجه القاتل .. يرمقه بنظرة ذات مغزى .. يبتسم له .. يتقدم نحوه .. يتوقف أمامه مباشرة .. يسير القاتل نحو القاتيل فيترجع إلى وسط الخشبة .. يتوقفان .. وبحركة واحدة منهما تنطلق السمفونية الخامسة لبتهوفن .. يرقصان ، معا ، بحركات موحدة ، رقصة (القدر يطرق الأبواب) .. تنتهي الرقصة بحركة موحدة يتوقفان عندها قبل أن تطفأ الأضواء .. ظلام .

*

تنطلق ، من خلال الظلام ، ضربات رتيبة على الطبول .. تسلط على السايك إضاءة زرقاء .. يضاء المسرح بإضاءة خافتة .. يدخل إلى المسرح ثلاثة كهول يحملون صولجاناتهم .. يقفون بشكل هرمي بينما يظل القاتيل على الجانب الأيمن من المسرح .. يدخل حملة (التابوت) وهم يسرون سيرا نظاميا جنازياً على إيقاع المارش الجنازى أو صوت الهمهمات الكورالية .. ينزلون التابوت على جهة يسار المسرح .. يقفون خلف .. التابوت يرفعون غطاءه بحركة بطيئة .. تنهض منه امرأة في مقتبل العمر .. تضع ، على شفاهها ، الأحمر الذي يبدو منسجماً مع ملابسها البيضاء .. حركات النهوض من التابوت بطريقة مشابهة لحركات القاتيل عندما رقص مع قاتله رقصة (القدر يطرق الأبواب) ولكن من دون موسيقى .. تقف .. تنفض عن ملابسها التراب .. تبتسم لحملة التابوت تنطلق نحو الكهول الثلاثة .. تبتسم لهم واحدا واحدا .. ثم تنطلق ، بسرعة، وبلهفة نحو القاتيل إذ تراه واقفا ينظر إليها على يسار المسرح .. تحاول معانقته لكنه يفلت من بين ذراعيها .. ويتوقف أمام الكهول الثلاثة .. يشير إلى المرأة والى نفسه .. المرأة تقوم بحركات مشاكسة فيها الكثير من نزع المرأة المراهقة .. يبتسم الكهول لحركاتها .. ينظرون إلى القاتيل باشمزاز .. يفتح القاتيل ذراعيه إلى الجانبين .. يرفع الكهول أيديهم كما لو كانوا شهودا

.. يشيرون بصلوجاناتهم إليه إشارة موحدة .. يتدلى من فضاء المسرح حبل يشبه المشنقة .. يضعه أحد الكهول تحت إبطي القتيل .. يسحب الحبل والقتيل إلى الأعلى لكنه يظل متدلّيا في فضاء المسرح .. همهمة ترتيلة كورالية مضخمة بمكبر الصوت .. ينزل الكهول الثلاثة من على مدرجاتهم ويتوجهون إلى الخارج .. تدخل المرأة في تابوتها .. ينزل الحبل إلى أسفل .. يرتخي .. يقوم حملة التابوت بغلقه عليها .. يحملونها وينسحبون إلى خارج المسرح على إيقاع المارش الجنائزي أو على صوت الهمهمات الكورالية .. ينزل الحبل إلى أسفل .. يرتخي .. تدب الحياة في القتيل ، مرة أخرى ، يبرك .. يفتح ذراعيه إلى الجانبين كما في المرة السابقة .. يقف ثم يجمد في مكانه .. يقوم بحركات طيران وكأنه يطير فعلا .. يتوقف إذ يرى القاتل على يسار الخشبة ما يزال في مكانه وهو يصوب إليه .. يتقدم القتيل من القاتل .. يتوقف على مقربة منه ثم يتراجع ، أمامه ، مع كل خطوة للقاتل باتجاهه .. يتوقفان في وسط الخشبة .. يتبادلان النظرات .. يتحركان كما لو كانا واحدا .. يطلق القاتل صوب القتيل .. الاثنان ، معا ، يصرخان صرخة صماء .. يمسك كل منهما رأسه بطريقة متشابهة .. يتلويان .. يتألمان .. يقتربان من بعضهما .. يتداخل الواحد في الآخر .. يلتحمان تماما .. يتحركان وكأنهما واحدٌ وهما يؤديان رقصة الالتحام .. يتوقفان عن الرقص .. يجمدان في محطهما .. يسقط القتيل ميتا وكذلك القاتل .. يسدل الستار مع تصاعد الهمهمات الكورالية .

*

يهبط القتيل ، بواسطة الحبل ، من فضاء المسرح ، إلى الخشبة .. يجلس في منتصف المسرح .. تمر من أمامه امرأة عصرية هي نفس المرأة التي كانت معه في اللقاء الأخير .. المرأة لا تنتبه لوجوده أو أنها تتظاهر بذلك .. ينظر إليها باستغراب .. يتبعها .. تختفي وراء الكواليس .. يعود إلى جلسته وسط الخشبة .. يمر من أمامه ، أيضا ، الكهول الثلاثة ولكنهم بملابس عصرية أيضا .. ينظر إليهم باستغراب .. يتبعهم حتى يختفون وراء الكواليس .. أصوات غير مفهومة ولا محددة ، مضخمة بمكبر الصوت تأخذ بالارتفاع شيئا فشيئا .. يتلوى ، معها ، متألما .. يمسك رأسه ، كما في المرة السابقة .. تتوقف الأصوات .. يجلس متهاكاً في مكانه السابق .. يتقدم من خلفه القاتل السابق .. يجلس خلفه مباشرة يتحرك معه حركة موحدة .. يستدير فيرى القاتل .. يقفان كل في مواجهة الآخر .. يتراجعان إلى الخلف وقبل أن يختفيا وراء الكواليس يظهر خلفهما الرجلان الكهلان وهما بملابس عصرية ، أيضا ، يحملان الهراوة بدل الصولجان ويضعان على أعينهما نظارات سود .. يستديران .. يريان الرجلين الكهلين في تراجعان إلى وسط الخشبة .. يدخل الكهل الأول من مؤخرة المسرح ويده هراوة أيضا .. يتوقف .. يرفع هراوته ، إلى الأعلى ، ويظل جامدا كتمثال فينقض الآخران على القاتل والقتيل ضربا مبرحا .. يزحف

القاتل والقتيل وخلف كل منهما واحد من الكهلين وكأنهما يسوقانها كما تساق الخراف .. يدورون زحفا نصف دورة فيلتقيان عند الكهل الأول .. يجلسان .. ينهضان .. يخفض الكهل هراوته فيجلسان ثانيةً .. يضع كلا هراوته على عنقيهما ويضغطان حتى ينقطع عنهما الهواء ويختنقان .. يسقطان على الأرض .. يرتفع القاتل إلى الأعلى بواسطة الحبل الذي هبط به الى الأسفل .. تطفأ الأضواء .

تفتح الإضاءة تدريجيا .. يظهر الكهول الثلاثة بملابسهم التقليدية على المسرح .. ونرى القاتل وهو ما يزال على سقطته الأخيرة .. ينهض .. ينظر الى كل الجهات .. يتأكد من عدم وجود أي شخص غيره .. يهم بالخروج من جهة اليسار لكنه يتوقف قرب الكواليس ثم يبدأ بالتراجع وكأنه ابصر شيئا غريبا ومدهشا .. يستمر بالتراجع .. تتبعه وتلاحقه من الجهة نفسها مرآة كبيرة بإطار ضخم .. تتقدم نحوه ببطء أول الأمر ثم تبدأ بمطاردته أينما ذهب .. الكهلان الثاني والثالث يرشان المسرح من الأعلى بأخرة ملونه بينما يقوم الأول ببعض الحركات الشيطانية .. تتوقف المرآة عن الحركة .. يتوقف القاتل .. ينظر إليها .. يتأكد من انها لن تتحرك ثانية .. يقترب منها .. يرى صورته معكوسة فيها أول الأمر ثم يرى الكهول الثلاثة وهم يسخرون منه .. يتراجع خطوة واحدة .. يحدق فيها .. يرى القاتل .. ترتفع المرآة الى الأعلى وتختفي في فضاء المسرح بينما يظل القاتل في محله يحدق في القاتل .. أصوات متداخلة سريعة غير واضحة ولا مفهومة تصدر عن مكبر الصوت يمسك كل منها رأسه متألما حتى تختفي الأصوات .. يتوقفان .. ينظر كل منهما الى الآخر .. ويبدأ القاتل بمطاردة قاتله .. يدوران حول السايك عدة دورات .. يختفيان لحظة وراء الكواليس .. يدخلان إلى المسرح وكل منهما ينظر باتجاه الكواليس وهو يحمل بيده مسدسا .. يتراجعان حتى يمس ظهر كل منهما الآخر فيقفزان من هول المفاجأة و يستديران الى بعضهما .. يطلقان .. يسقطان معا .. ينزل الكهول الثلاثة من أعلى المدرج المرتفع نسبيا .. يقفون حول الجثتين يرفع القاتلان رأسيهما .. ينظران الى الكهول وهم يصوبون صولجاناتهم إليهما .. يطلقون فيسقطان مرة أخرى ولكن بلا حراك هذه المرة حتى يسدل الستار

بعقوبة 1995

□ عن قصة (الاتحام) للأستاذ عبد الحليم المدني

محاولة لاختراق الصمت

شخص المسرحية

الرجل ذو الملابس البيضاء

الرجل ذو الملابس السوداء

الرجال الثلاثة - المرأة - الرجلان

نشرت في مجلة ألف باء العدد (1550) في 1/حزيران / 1998.

تطفأ الأضواء .. نسمع من خلال الظلام عيارات نارية مختلفة .. تومض الإضاءة عدة مرات .. نرى ، خلال وميضها ، الرجل ذا الملابس البيض هاربا .. فزعا .. محاولا حماية نفسه من وابل الرصاص الذي ينهال عليه من كل جهة من جهات المسرح .. يصاب بعيار .. عيارين .. ثلاثة فيترنح متألما .. ينقطع الرصاص .. ينهار .. يتهاوى .. وقبل أن يسقط أرضا يقرص فتتوقف الحركة وتظل بقعة الضوء الدائرية مركزة عليه فترة وهو على وسط يسار الخشبة .. موسيقى حلميه هادئة .. يستمر مقرصا فترة ثم يبدأ بالاستيقاظ .. يرفع رأسه .. جذعه .. يقف منتصبا .. يفززه دوي طبل كبير أو ضربة صنح قوية تتزامن مع ظهور رقعة شطرنجية ضوئية كبيرة تحتل معظم الخشبة .. ينظر إليها بتوجس .. يتلفت ذات الشمال وذات اليمين .. لا أحد على المسرح غيره وغير الفراغ .. يحاول الخروج من الرقعة لكنه يفشل .. وإذ يكتشف انه مشدود الى المربع ، الذي يقف عليه ، بقوة خفيفة ، يعيد المحاولة ثانية وثالثة ورابعة .

يهبط ، على حين غرة ، من فضاء المسرح ، على المربع الشطرنجي المناظر للمربع الذي يقف عليه (مربع بيدق الملك) رجل يرتدي الملابس السود ولكنه مدجج بالسلاح .. يتقدم خطوه (مربعا) الى الأمام .. يتوقف .. يشهر سيفه وينتظر .. يرمي أمام الرجل ذي الملابس البيض من جهة مجهوله من فضاء المسرح ، درع وسيف .. ينظر إليهما والى الرجل ذي الملابس السود الذي يشير عليه بحملهما مستغربا .. حائرا يتقدم الرجل ذو الملابس السود يرفع سيفه الى الأعلى ، بحركة رشيقة ينقض على الرجل ذي الملابس البيض .. وبحركة انعكاسية وآلية يرفع الرجل ذو الملابس البيض الدرع فيدراً عنه الضربة .. يستمر في دفاعه فترة .. يسقطه الخصم ، أرضا ينتبه لوجود السيف في يده .. وإذ يتفادى ضربة ، أخرى ، للخصم ينقض عليه .. يطعنه بقوه فيتقهقر ببطء حتى يسقط خلف الكواليس .. الرجل ذو الملابس الابيض ينظر الى السيف والدرع ولما فعله بالخصم فيرميها ، بتقزز واشمئزاز ، بعيدا عنه .. يهم بمغادرة الرقعة .. وعندما يخرج فعلا .. يداهم رجال بشعون .. مخيفون بملابس بيض مغطاة بعباءات سود مما يتيح لهم الظهور بلون واحد أو لونين في كل مرة يظهرون فيها على خشبة المسرح .. يضربه أطولهم قامة وأكبرهم حجما فيعيده الى الرقعة ثانية .. يسقط مغشيا عليه .. تتركز الإضاءة في حزمة دائرية تعزله عن بقية أجزاء الخشبة .. يستيقظ .. يجد الرقعة قد اختفت .. وعلى مقربة منه (على مربع قلعة الملك) تقف امرأة بملابس بيض وهي تضم إلى صدرها دمية كبيرة كما لو أنها طفل رضيع .. يتأمل الدمية / الطفل .. يمد لها ذراعيه .. تتقدم منه .. تتاوله الدمية .. يقبلها .. يضعها على الأرض .. ينهض .. يمسك يدي المرأة .. يحتضنها ويدور معها بفرح غامر .. يرقصان ، مثل طائرين محلقيين في فضاء فسيح .. تستمر الرقصة فترة مناسبة حتى يقطعها صوت الرصاص وهو ينهال عليهما من كل زاوية من زوايا المسرح .. يحاول الرجل حماية المرأة بجسده .. وتحاول المرأة حماية الدمية / الطفل بجسدها لكن الرصاص يتمكن

منها .. تتوقف الحركة اثناء سقوطهما فييدوان كتمثالين حزينين وساخطين .. يدخل الرجل ذو الصولجان ، متسللاً .. ينتزع الدمية / الطفل من بين ذراعي المرأة بهدوء ويغادر متسللاً أيضا .. تطفأ الأضواء .

*

على المربع نفسه وتحت نفس البقعة الضوئية نرى الرجل ذا الملابس البيض وهو ممد داخل الرقعة الشطرنجية .. يستيقظ ببطء .. يفاجأ بعودة الرقعة ثانية .. ينهض .. يحاول الخروج منها ولكنه يفشل كما في المرة السابقة .. ضربة صنج أو طبل كبير و صرخة قوية لرجلين يقفزان الى داخل الرقعة وهما يرتديان الملابس السود أيضا .. يتقدمان منه ببطء .. يشهران أسلحتهما .. يبدوان كراعيي بقر أمريكيين .. يتوقفان عن الحركة حالما يظهر الرجال الثلاثة وهم يغادرون المسرح باللون الأبيض .. أحد المسلحين يطلق النار عليه فيقفز متحاشيا الرصاصة الى المربع المجاور .. يكتشف أنهما يطلقان كما لو كانا (فيلين) في رقعة شطرنجية فيسهل عليه تحاشي اطلاقاتهم المستمرة .. يقف على مربع لا يتقاطع معهما فيصوب نحو الأول .. يطلق .. يرديه قتيلا .. يصوب نحو الثاني .. يطلق .. يرديه قتيلا .. يرمي المسدس بعيدا عنه خلف الكواليس .. يرتطم المسدس بأرضية الخشبية فيحدث دويًا هائلا ويشع ضوء وهاج هو وهج انطلاق الرصاصة الطائشة التي تطيح به فيسقط مغشيا عليه ، على المربع نفسه الذي سقط عليه قبل هذه المرة ، بقعة الضوء تتركز عليه فترة وجيزة ثم تختفي تدريجيا مع الموسيقى .. وتدرجيا يستيقظ الرجل ذو الملابس البيض .. يفاجأ باختفاء رقعة الشطرنج .. يتحسس جسده .. يتأكد من عدم وجود ثقوب في ملابسه .. موسيقى مارش .. يدخل الرجال الثلاثة .. يدورون حوله دورة طقوسية كاملة .. يخرجون .. يتبعهم .. وإذ يختفون وراء الكواليس يلوذ بالفرار من الجهة الأخرى .. يصطدم بهم .. يتراجع .. يلوذ بالفرار من جهة أعلى وسط المسرح .. يصطدم بهم أيضا .. يتوقف في مكانه .. حائرا .. لايلوي على شئ .. يتقدم منه أطولهم قامة وأكبرهم حجما .. يضربه بالصولجان فيسقط مغشيا عليه فتختفي بقعة الضوء تدريجيا .

*

تدرجياً تبدأ البقعة بالظهور .. تظهر رقعة الشطرنج أيضاً .. ينهض .. تدخل المرأة التي كانت معه ، في المرة السابقة ، الى داخل الرقعة منخذلة .. محطمة .. شاحبة .. مدماة وهي تحمل بين يديها صرة قماشية تضعها على منتصف الرقعة وتبتعد بانكسار .. يقترب الرجل ذو الملابس البيض من الصرة القماشية .. يفتحها بحركة واحدة يفاجأ ويكاد يغمى عليه اذ يرى رأس الدمية / الطفل مقطوعة ومضرجة بالدم .. تنهار قواه .. يبرك .. يغطي وجهه براحتيه .. يتعالى صوت الموسيقى حزينا .. يبدأ الرأس بالارتفاع الى أعلى .. يتبعه الرجل ذو الملابس البيض ، بنظراته الكسيرة حتى يغيب في فضاء المسرح .. يطأطئ رأسه .. يدخل الرجال الثلاثة .. ينهض

.. يحاول التصدي لهم .. يوقفه أطولهم ، وأكبرهم حجماً بإشارة من صولجانه ثم يشير بالصولجان ، أيضا ، الى المرأة فيتقدم الاثنان ويمسكان بها كل من يد ..يجرانها وهما يتبعان كبيرهما الى ما وراء الكواليس يجري خلفهما بكل سرعته محاولا اللحاق بهما وأخذ المرأة منهما لكنه يصطدم بجدار وهمي ، على الخط الفاصل بين داخل الرقعة وخارجها ، يمنع من اللحاق بهم .. يرفس الجدار عدة رفسات .. يضربه بيديه .. يحاول الخروج من الجهة المقابلة لكنه يصطدم بجدار وهمي آخر .. يكرر المحاولة من مؤخرة المسرح ومن أمامه أيضا ..تبدأ الجدران الأربعة ، الوهمية ، بالاقتراب ، منه ، شيئا فشيئا مع الموسيقى .. تضيق .. وتضيق معها رقعة الشطرنج .. تتوقف الجدران عن الحركة .. وكذلك الموسيقى .. يتحرك ذو الملابس البيض ضمن حدود المتر المربع الذي توقفت عنده الجدران عن الحركة ..يستكين ..يجلس في إحدى زوايا المربع .. يفكر .. ينهض .. ينظر الى الأعلى .. يحاول تسلق الجدار بلا جدوى .. يستكين ..يجلس .. يقف مواجهها الجدار الأمامي يرى شيئا على الجدار .. يقترب منه .. يمد يده .. يلمس بأصابعه حرف (أُ) ثم حرس (س) يحاول الصراخ .. تتقاطع ساعده أمام فمه فتمنع الصرخة من الانطلاق .. ينظر الى الجدار الآخر .. يلمس الحرفين (أُ س) ولا يستطيع الصراخ .. وكذلك الحال مع الجدارين الآخرين .. يقف في منتصف المربع .. تبدأ الجدران الاربعة بالحركة ، مرة أخرى مع الموسيقى .. تضيق .. تضيق .. يحاول إيقافها .. دفعها بيديه دون جدوى .. يحاول ثانية وهي تنطبق عليه شيئا فشيئا .. تلامس جسده .. يتلوى .. تضغط عليه .. يزداد لهائه .. تضغط أكثر .. يمد يده الى الأعلى .. يحاول مسك شيء ما ينجيه .. تضغط أكثر فأكثر .. تنطبق عليه .. وقبل أن تسحقه ، تماما، يطلق صرخة قوية مدوية .. تمزق الصمت الذي استمر طوال العرض .. تطفأ الأضواء كلها بينما تستمر الصرخة قوية مدوية ومؤثرة .

بعقوبة 1997

* * *
*

ابتهالات الصمت الخرس

شخوص المسرحية
الرجل الأكبر - الرجلان القويان
المرأة - القادم الجديد
الرجل الأعمى - الصبي
الرجل الميت - امرأة الجنابة
مجموعة من الرجال والنساء

نشرت في مجلة المشهد الثقافي العدد الثاني السنة الأولى صيف 2000

نشرت في صحيفة (الزمن) العدد (5) التاريخ 2000/4/11

بقعة ضوء تتوهج ، تدريجيا ، في منطقة اعلى وسط المسرح .. وتدرجيا تتصاعد الموسيقى متزامنة مع ذلك التوهج . يظهر ، في البقعة الضوئية ، الرجل الاكبر جالسا على كرسي ضخم مهيب جدا .. يقف الى جانبيه رجلان قويان يرتديان ملابس تشبه ، الى حد ما ، ملابس الكهنة..يتقدم الكرسي والرجلان آليا الى منطقة وسط الوسط .. يقف الرجل الاكبر ثم تفتح الاضواء تدريجيا ، أيضا ، فتظهر المجموعة باركة على امتداد الخشبة ، مطأطأة الرؤوس ومرتبة بشكل مدروس .. ينتقل الرجل الاكبر بين افراد المجموعة وهو ينفذ كفه على رؤوسهم ، عدة مرات، كما لو انه يرش عليهم ، من كفه ، ماءً مقدساً .. دخان اصطناعي يغطي الخشبة فتظهر المجموعة وكأنها تسبح في بحر من الغيوم البيض الكثيفة المتحركة .. الرجل الأكبر يرفع يديه الى الاعلى بحركة تشبه حركة السحرة والكهان فتنهض المجموعة واقفة على أقدامها .. يخفض الرجل يديه الى منتصف جسمه .. تتحني المجموعة .. يدير ظهره لهم .. يتركهم .. يسير صاعدا نحو كرسيه .. يجلس عليه بكبرياء ثليق بجبروته .. يرفع كفيه ويضرب بهما المسندين الجانبيين لكرسيه فتتحول المجموعة الى تشكيلات مختلفة تظهر قوته وسطوته وهيمنته على المكان .. التشكيلة الاولى تضم مجموعة من الجلادين يتناوبون على جلد ضحية في جهة يسار المسرح .. وعلى يمينه تقوم تشكيلة أخرى بتعذيب رجل وضعوا قدميه في (فلقة) وراحوا يضربون عليها بقوة .. وعلى أسفل وسط الخشبة تقوم تشكيلة ثالثة بإعدام امرأة في مقتبل العمر .. جميلة .. رشيقة .. جذابة بما فيه الكفاية .. الجميع يؤدون هذه الحركات بشكل انسيابي مرن هو اقرب الى الرقص التعبيري منه الى الأداء التمثيلي .. تستمر الموسيقى مصاحبة لحركاتهم حتى ينسحب الجلادون وتنزل المرأة من المقصلة وهي تؤدي مع الضحيتين رقصة الاستغاثة .. يعود الجلادون ليحيطوا بهم فتلوذ المرأة بالرجل الأكبر باركة عند قدميه .. متضرعة .. متوسلة .. يرفع الرجل الاكبر إحدى يديه فيتوقف الرقص وينسحب الجميع إلا المرأة .. يشير لها الرجل الأكبر بالنعوض فتنهض .. يتقدم منها الحارسان ويرقصان معها رقصة الساس العربية .. يقومان بعد أداء التحية

(تحية الافتتاح) و المبارزة بطعنها بدلا من أن يطعن كل واحد منهما الآخرعلى وفق شروط الرقصة .. المرأة تتلوى .. تتألم .. تتلقى طعنة مشتركة من الرجلين في آن واحد فتزهق روحها وتموت واقفة لحظة قبل ان تسقط بشكل نهائي .. يقف الرجل الاكبر ، عند جثتها ، منتشيا ..مزهوا ..يرفع الى الاعلى ، نخب ضحيته ..يشرب ثم يسكب ، ما تبقى ، على جسد الضحية ..بينما تخفت الاضواء تدريجيا حتى يظلم المسرح .

*

تتألاً على خلفية المسرح (السايك) عدد من النجوم والكواكب .. موسيقى طقسية .. يهبط على ظهر نجة كبيرة من فضاء المسرح رجل حلو الملامح .. تبدو على مظهره القداسة والسماحة والنبيل .. تنتبه المجموعة لهبوطه .. تتبادل المواقع فيما بينها وهي متعجبة .. متفائلة بالقادم الجديد .. يهبط القادم الجديد الى الارض وحالما تمس قدماه الخشبه يتجمعون حوله زرافات زرافات .. يبركون .. يمدون له أيديهم لكن ظهور الرجل الاكبر يفاجئهم فيرتدون مبتعدين عن القادم الجديد .. يقطع المسرح من اليسار الى اليمين صبي وهو يأخذ بيد رجل أعمى .. ينتبه الصبي لوجود القادم الجديد .. يمد له يده .. يتوقف .. يحس الاعمى بتوقف الصبي فيستدير يترك الصبي يد الاعمى ويذهب الى القادم الجديد .. يتناول منه منديلا أبيض من الحرير ثم يعود الى الأعمى ليمسح بالمنديل على عينيه .. يفاجأ الرجل الاعمى بشفائه وقدرته على الإبصار .. يرمي العصا من يده .. يحتضن الصبي عدة مرات ثم يلتفت الى القادم الجديد يتقدم منه دون الحاجة الى العصا أو الصبي .. يركع له بين دهشة الناس وتعجبهم لمراى الرجل الاكبر فيرتدون راجعين .. يقطع المسرح من اليمين الى اليسار رجلان وهما يحملان جنازة ميت .. تتبعهما امرأة موشحة بالسواد .. حزينة دامعة العينين .. ترى القادم الجديد امامها .. يناولها منديلا تسرع به الى الجنازة .. تمرره على وجه الميت فينهض من موته ببطء ، أول الأمر ، ثم يقفز بفرح غامر .. ينتبه لوجود القادم الجديد فيبطئ من حركته .. يتقدم منه .. يبرك أمامه .. يمد القادم يده اليه .. ينهض .. يقف خلفه .. يتحرك ظل الرجل الأكبر مهددا ولكن الرجل الذي كان ميتا لا يلقي للظل بالا وكذلك الرجل الذي كان أعمى .. يقف الاول على يسار القادم الجديد ويقف الثاني على يمينه .. يسير القادم بضع خطوات .. تسير المجموعة خلفه .. وهي تقبل الارض التي وطئتها قدماه .. يصعد القادم الجديد على نجمته وترتفع به الى السماء . موسيقى طقسية .. الجميع يشخصون بأبصارهم نحوه حتى يختفي في سماء المسرح .. يتحرك ظل الرجل الاكبر على السايك .. يتقدم فيقصر طوله شيئا فشيئا .. يدخل الى خشبة المسرح بخطى واثقه وعلى ملامحه آثار حقد دفين .. تبتعد المجموعة متراجعة أمام تقدمه .. يصعد على مدرج العرش وكذلك الرجلان القويان .. تغير المجموعة في تشكيلاتها انسجاما مع الموقف الجديد فمن نظرات الأمل التي ودعوا بها القادم الجديد الى الرهبة والخوف من الرجل الاكبر ثم تنقسم الى قسمين .. يتصدر الاولى الرجل الذي كان ميتا ويتصدر الثانية الرجل الذي كان اعمى .. يجلس الرجل الاكبر على كرسي العرش .. يضرب مسنديه فيخرج كل من الرجلين القويين مسدسا اوتوماتيكيا يخفيه كل منهما تحت ملبسه الشبيهة بملابس الكهنة ومساعدتهم .. يرفع الرجل الاكبر يده اليمنى .. يوقفها في الهواء لحظة ثم يتركها تتهاوى ضاربة مسند العرش .. يطلق الرجلان القويان عياراتهما صوب الرجلين فيرديانهما قتيلين .. يحاول بعض افراد المجموعتين الامساك بالقتيلين لكن الرجلين القويين يمنعانهم ، من ذلك ، باطلاق عيارات أخرى

.. يقف الرجل الاكبر غاضبا .. ينزل الرجلان القويان ويسوقان الجميع سوفا نحو الرجل الاكبر بصفين وهم منحنون يتوقف كل واحد منهم لحظة وهو منحن أمام الرجل الاكبر ثم ينسحب منحنيا ، أيضا ، حتى يخرج الجميع بشكل انسيابي ليدخلوا ثانية مشكلين صفين منتظمين كصفوف العسكر .. ينزل الرجل الاكبر .. وبحركات متقنة يستعرض الصفين بينما تعزف الموسيقى مارشا عسكريا .. يختار منهم من يراه ملائما له .. وكلما اختار فردا منهم يصعد الفرد المختار الى مدرج العرش واذ يكتمل عددهم يعود الرجل الاكبر الى كرسيه .. يجلس .. يعطي إشارة بدء المهمة الجديدة للمجندين الجدد فينقضون على من تبقى من أفراد الصفين ضربا مبرحا بالسياط أو العصي حتى يتساقطوا ، على الأرض ، الواحد تلو الآخر .. يتوقف عن الضرب .. يدورون حول ضحاياهم ثم يتوقفون .. ينزل الرجل الأكبر ويدور حولهم ، أيضا ، وهو يؤدي حركة بيديه وكأنه يرش عليهم ماءً مقدسا فينهضون .. يسلم المجندون الجدد السياط أو العصي ويأمرونهم بالنهوض لأداء رقصة العصا الضاربة .. تعزف الموسيقى .. ويبدأ الكل بالرقص .. و حالما ينتهون يتسطرون الواحد تلو الآخر منبطحين على بطونهم من اسفل مدرج العرش حتى حافة المسرح الأمامية .. ينزل الرجل .. يسير على ظهورهم .. يتبعه الرجلان القويان الى خارج المسرح .. المجموعة تزحف هنا وهناك منتشرة على الخشبة مع تصاعد أصوات الأنين .. صوت موسيقى طقسية آت من البعيد .. من سمت السماء .. يرفعون رؤوسهم .. تتصاعد الموسيقى .. يرفعون أيديهم بحركة موحدة .. يقترب الصوت .. يحركون جذوعهم حركة موحدة أيضا .. يظهر على نجمته القادم الجديد .. يهبط من فضاء المسرح .. يتوقف قريبا من سطح الأرض/ الخشبة .. المجموعة تحاول النهوض ولا تستطيع .. ينزل القادم الجديد من على نجمته .. يسير بينهم .. يمسح على وجوههم فينهضون .. يركعون .. يقبلون الأرض التي يسير عليها .. يشير عليهم بالنهوض والتقدم الى عرش الرجل الاكبر فيهجمون عليه .. يرفعونه الى الأعلى ثم ينزلون به الى الاسفل .. يمسك كل واحد منهم بجزء من اجزائه ويسحبه اليه بقوة حتى ينكسر متحولا الى أجزاء متناثرة .. يرمون هذه الاجزاء في نفس المكان الذي كان فيه العرش .. ضربة صنج قوية .. يتوقفون عن الحركة .. يظهر ظل الرجل الاكبر على الخلفية (السايك) .. يتقدم نحوهم .. ينحسر الظل إذ يدخل الرجل الاكبر الى المسرح .. يصعد الى مكان العرش .. يدب الخوف بينهم ويبدأون بالتراجع في مجموعتين .. الأولى تتراجع الى يمين المسرح والأخرى الى يساره .. القادم الجديد يظل في وسط المسرح غير آبه بالرجل الاكبر .. يتحرك الآخر بغضب فتبرك المجموعتان .. إيماءة غضب أخرى ، من الرجل الاكبر ، فتأطى المجموعتان الرؤوس حتى لم يعد بمستطاعهم رؤية ما يحدث .. ينزل الرجل الاكبر .. يواجه القادم الجديد .. يصعدان معا الى محل العرش .. يؤدي الرجل الاكبر حركة سريعة فينقض الرجلان القويان على القادم الجديد .. يجرانه الى اسفل المسرح .. يخلعان ملابسه بالقوة ويقذفان

بها في الهواء .. يمددانه على الارض .. ينزل الرجل الاكبر اليه .. يقف عند قدميه .. يجلس
يداعب باصابعه فخذيه فيرتعب القادم الجديد خوفا من ارتكاب الخطيئة .. يقف الرجل الاكبر ..
يشير الى السماء فتهبط النجمة التي هبط بواسطتها القادم الجديد .. الرجلان القويان يأمرانه
بالصعود على نجمته .. يتحرك صوب النجمة .. يصعد عليها حزينا .. متألما .. تصعد النجمة
الى الاعلى وهوما يزال ينظر الى الأسفل بحزن شديد.. ترفع المجموعتان الرأس بحركة واحدة
ليروا القادم راحلا .. يومئ الرجل الاكبر إيماءة النهاية فتطأئ كل الرأس وتتوقف الحركة تماما
وينزل الستار *

بعقوبة 1997

*

* عن رواية الكاتب الروائي الكبير فيودور ديستوفسكي (الأخوة كرامازوف) المجلد الأول فصل
المفتش الأكبر .. دار (رادوغا) صفحة 522 .

الهديل الذي بدد صمت اليمامة

شخوص المسرحية

امراة في الثلاثين - رجل الظل
الرجال الثلاثة

نشرت في مجلة آلف باء العدد (1632) في 2000/1/5

تطفأ الأضواء .. نسمع ، من خلال الظلمة ، هديل اليمامة .. إضاءة تدريجية (Fade in) تتزامن مع الهديل .. امرأة قاربت الثلاثين من العمر تجلس مستوحشة الى منضدة وضع عليها كأسان من عصير البرتقال .. الكرسي الوحيد المقابل لكرسيها غير مشغول طوال الوقت .. على جانبي خلفية المسرح مشبكان من القضبان الحديدية يستخدمان كشباكين أو شرفتين تطل المرأة منها على الخارج .. المرأة مسترسلة في قراءة رواية ماركريت ميتشيل (ذهب مع الريح) .. تنتبه لصوت الهديل .. تطوي الكتاب وتضمه الى صدرها .. تنهض .. تتقدم نحو اسفل يسار المسرح وهي تنتصت لهديل اليمام .. لحظات من الهدوء الموسق تنتهكه اصوات انفجارات شديدة و لكنها بعيدة .. تفر المرأة .. تهول الى النافذة الاولى .. ثم الى النافذة الثانية .. تيرق الاضاءة مع كل انفجار ويزداد بريقها تدريجيا كلما اقتربت اصوات الانفجارات .. المرأة خائفة .. مرعوبة .. تهول هنا وهناك محاولة حماية نفسها وهي تسحب انفاسها بعمق .. تعود الى جلستها السابقة .. تفتح الكتاب وتقرأ فيه مرة أخرى ، ومرة أخرى تسمع هديل اليمام .. تنتبه اليه .. يفرزها صوت طبل كبير أو ضربة صنج قوية .. تذهب الى النافذة الاولى .. تتابع سمعيا فصيلا من المهرولين وهم يطلقون اصوات كالتي يطلقها الجنود ، عادة ، مع الهرولة النظامية .. تنتقل الى كرسيها .. تتأمل الكأس الموضوعة قبالة كأسها .. تمد يدها اليها .. تلمسها وتبتسم .. يظهر في منطقة خيال الظل ، الواقعة بين النافذتين ، خيال رجل يجلس قبالتها وكأنه يجلس على الكرسي الفارغ .. يمد يديه الى الكأس الموضوعة أمامه وكأنه يتناول نفس الكأس الموضوعة قبالتها .. يشير لها .. ترفع هي الأخرى كأسها .. يشريان في آن نخبهما .. تسقط الكأس من يده .. تسمع صوت تكسرها فتنهض مستفزة .. تتوجه نحو جمهور النظارة باستغراب .. وعندما تستدير يكون الرجل قد اختفى من منطقة الظل .. اصوات المهرولين تبدأ بالارتفاع شيئا فشيئا

(crescendo) .. تتابعهم سمعيا وبصريا ..

ملاحظة :- يمكن لهذا الفصل أن يظهر في منطقة خيال الظل ، أيضا ، ثم يتوجه الى الاعلى حتى تختفي صورته في منطقة ما في المدى البعيد. تختفي أصواتهم تدريجيا (decrescendo) .. وتتطلق من البعيد اصوات همهمة كورالية محدثة إحساسا ، كبيرا ، بالحزن والفرق .. المرأة تبكي .. تمسح دموعها وتبكي .. تتذكر الكرسي الموضوع قبالتها .. تنتظر اليه بحنان .. تقترب .. تلمسه برقة وأناة وحب .. تنتهد .. يقطع تنهدا صوت ارتظام أوان معدنية بالارض .. تهول الى جهة يسار المسرح .. تنتظر باتجاه الكواليس .. تتراجع بخوف ، وبحذر شديد ، الى منتصف المسرح .. تستدير .. تهول الى جهة يمين المسرح .. تنتظر باتجاه الكواليس أيضا .. تتراجع بخوف وحذر الى منتصف المسرح .. تنتظر الى الاعلى بخوف وتوجس .. تمر على منطقة خيال الظل ، بسرعة خاطفة ، أشكال هلامية غير محده

الملاح .. المرأة تهرب مهرولة الى كل اتجاه .. تدور حول نفسها .. تسقط على الارض .. تبدأ
الاضاءة بالاختفاء تدريجيا حتى يظلم المسرح .

*

يضاء المسرح تدريجيا .. ترفع المرأة رأسها .. موسيقى رعب .. يكسو ملامحها الخوف
.. تسمع صرير بوابات حديدية تفتح وتغلق .. يهبط من فضاء المسرح مشبك قضبان حديدية
بحجم المشبكين السابقين .. يستقر على الحافة الوسطية للخشبة .. يتحرك المشبكان اللذان على
جانبي خلفية المسرح آليا ، نحو يسار ويمين حافة الخشبة حتى يغلقا مع المشبك الاول فتحة
الجدار الرابع ويتحول المسرح الى سجن .. المرأة تراقب حركة القضبان الحديدية بتوجس
واستفهام .. تقترب منها .. تلمسها بحركة تتابعية من اليمين الى اليسار .. تحاول زحزحتها دون
جدوى .. تحاول فصلها دون جدوى .. تبحث عن مربع يمكن ان تخرج من خلاله فتفتشل ..
تنظر الى الاعلى .. تتسلق القضبان .. تتهاوى الى الارض .. تجلس القرفصاء .. تنتسمع صوت
الهديل .. تنهض .. تعود الى كرسيها .. تجلس .. تنظر الى الكرسي الآخر .. تتناول الكتاب
وحالما تبدأ بقراءته تطرق سمعها همهمة كورالية أو مارش جنائزي .. يعبر منطقة خيال الظل
عدد من الرجال وهم يحملون على اكتافهم جنازة أحدهم .. تتبعهم مستفهمة ثم ترتد ، منكفئة ،
الى كرسيها .. متألمة .. ومنكسرة .. تنظر الى الكأس الموضوعة قبالة كأسها لتتأكد من وجودها
.. ترفعها .. تتأملها بإعجاب .. تبتسم .. تعيدها الى مكانها .. تجلس على كرسيها باسترخاء ..
تفتح الكتاب .. وقبل ان تبدأ القراءة تسمع اصواتا غريبة ومخيفة .. تنظر في كل اتجاه .. تتحرك
بخوف وتوجس الى يمين المسرح ثم تتراجع إذ ترى رجلا قصير القامة دميم الخلقه .. تهرب الى
جهة يسار المسرح .. تتراجع إذ يتقدم منها رجل يشبه الاول لكنه اكثر قبحا .. تهرب الى اعلى
الوسط فتصطدم برجل آخر أو مسخ آخر .. تتراجع الى وسط الوسط .. يتقدم الرجلان الدميان
نحو منضدتها ، وبحركة واحدة موحدة ، يشريان ما في الكاسين .. تتقدم منهما ، في محاولة
يائسة للحفاظ على الكاسين لكنهما يدفعانها بعنف فتسقط ارضا .. يقذفان بالكاسين الى ما وراء
الكواليس بعث واستهتار .. المرأة ما تزال ممددة على الارض .. يتقم الثلاثة منها .. يقفون على
مقربة من جسدها .. تظهر على شاشة خيال الظل بقعة ضوء صغيرة ملونه وجميلة تحيط بها
عدة بقع ضوئية اكبر حجما .. يبرك الثالث عند قدميها ويمد يده اليها محاولا لمسها .. تنسحب
زاحفة الى اعلى الوسط .. البقع الضوئية تتداخل مع البقعة الصغيرة في محاولة لاحتوائها ..
الرجل الثالث يتبعها سيرا على الاربع .. يحاول التمدد فوقها لكنها تفلت منه نحو اعلى الوسط ..
تتفرق البقع الضوئية تاركة البقعة الصغيرة في محلها .. الرجل / المسخ يستدير اليها وهو ما
يزال باركا .. يشير الى الاثني فيمسكانها كل من يد .. يتقدم منها .. تتقدم البقع الضوئية من

البقعة الصغيرة .. يعلو صوت تنفسها .. يتقدم اكثر .. يعلو تنفسها اكثر .. يتقدم اكثر .. تطلق صرخة قوية مستغيثة طويلة ومدوية .. تطفأ الأضواء بينما تستمر البقعة الصغيرة مجاهدة في صراعها مع البقع المهاجمة حتى انتهاء الصرخة .

فترة صمت قصيرة تمر قبل سطوع الأضواء تدريجيا .. المرأة تجلس بجانب المنضده نفسها وأمامها نفس الكأسين .. شعرها منثور .. وجهها متورم وشاحب .. ثيابها مدعوكه .. يظهر على منطقة خيال الظل حبيبها ولكنها لاتنتبه لوجوده .. يضع كفيه على بعضهما و يقربها من فمه وينفخ فيهما مقلدا صوت اليمام .. تنتبه .. تستدر اليه .. تدخل منطقة خيال الظل بلهفة .. تبرك امامه .. موسيقى فالس .. تمد ذراعيها اليه .. ينهضان .. تسحبه ويدخلان الى المسرح .. يجلسان على الكرسيين .. يتناولان عصير البرتقال .. تمد يدها الى يده طلبا للرقص .. يرقصان بفرح غامر .. تقطع رقصتهما ضربه صنج قوية تنبههما فينسحب الرجل الى منطقة خيال الظل .. تتبعه .. يغادر وهي تشير اليه مودعة .. ترجع الى كرسيها .. تنتظر الى كأسه .. تدور حول كرسيه حالمة .. ضربة صنج .. يقفز الرجال الثلاثة وهم يطلقون صرخه موحدة الى ما وراء القضبان .. يدفع كل منهم مشبكه الحديدي باتجاهها .. الاول والثاني يناورانها بدهاء .. وبحركات شيطانية يتقدم الثالث اليها .. تحاول الهرب وهم يضيقون عليها .. تقترب مشبكاتهم الثلاثة منها شيئا فشيئا أو دفعه واحدة .. يحاصرونها .. تتحرك بسرعة وجنون داخل المثلث الحديدي الذي حوصرت داخله .. تصعد على منضدتها .. تقفز الى الارض .. تضرب قضبان الحديد بقوة .. ينسحب الرجال الثلاثة بزهو الى الخارج .. تطأطئ رأسها .. وعندما تشرع بالبكاء تسمع هديل اليمام ، مره أخرى ، فترفع رأسها .. تنتظر الى البعيد .. تتناول رواية ماركريت ميتشيل (ذهب مع الريح) وتبدأ القراءة .. تختفي الاضاءة تدريجيا (Fade out) بينما يستمر الهديل حتى النهاية .

بعقوبة 1997

حلقة الصمت المفقودة

شخص المسرحية

الرجل الكبير - التابعان

مجموعة الذئاب البشرية

مجموعة الكلاب البشرية

مجموعة الثعالب البشرية

راقصون ومهزّجون من القردة

الرجل الأول - الثاني - الثالث - الرابع

نشرت في مجلة (المشهد) العدد الثاني السنة الأولى صيف 2000.

ثلاثة مسطحات ، مختلفة المساحات ، نضدت الواحدة فوق الأخرى ، بشكل مدرج هرمي ، في وسط المسرح .. على قمة المدرج الهرمي وضع كرسي فخم جداً .. يظلم المسرح والصالة معاً ، ومن خلال الظلام نسمع أصواتاً تعلن عن وصول شخصية مهمة جداً هي شخصية الرجل الكبير .. ضربة صنج .. تفتح أضواء الخشبة فنرى الرجل الكبير جالساً على كرسيه وإلى جانبه اثنان من أتباعه وهما يقفان بشكل يوحي أنهما موجودان لحمايته أو نقل أوامره إلى الآخرين .. ضربة صنج أخرى .. يقف الرجل الكبير منتصباً بينما يبرك التابعان .. يضرب الهواء بسوطه مهدداً فيستدير التابع الأول نحو اليمين ويشير بسبابته إلى ما وراء الكواليس ويظل جامداً ، في مكانه ، مثل تمثال شمعي ، موسيقى مارش تستمر لحظة ثم تختلط بعواء ذئب تقترب شيئاً فشيئاً .. تدخل إلى المسرح مجموعة الذئب البشرية .. ترتقي المدرج الهرمي وتستقر على درجته الثانية تحت الكرسي الفخم مباشرة .. تجلس في أوضاع تأهب وانقضاض .. يستدير الرجل الكبير قليلاً .. يضرب الهواء بسوطه .. يستدير التابع الثاني نحو يسار المسرح ويشير بسبابته إلى ما وراء الكواليس ثم يجمد متوقفاً عن الحركة مثل تمثال شمعي .. موسيقى مارش تستمر لحظة ، أيضاً ، ثم تختلط بنباح كلاب بشرية هائجة ، يقترب شيئاً فشيئاً .. تدخل مجموعة الكلاب البشرية الشرسة إلى الخشبة .. ترتقي المدرج الهرمي وتستقر على درجته الثالثة بأوضاع تأهب واستعداد للانقضاض .. يستدير الرجل الكبير .. يدور حول كرسيه دورة كاملة .. يضرب الهواء بسوطه فيرفع التابع الأول ويشير بسبابته إلى الأعلى .. يضرب ثانية فيرفع التابع الثاني ذراعه وهو يشير بسبابته إلى الأعلى أيضاً .. يدخل إلى المسرح من جهتيه عدد من الثعالب البشرية .. يأخذون أماكنهم ، على قاعدة المدرج الهرمي السفلى ، بأوضاع مدروسة .. يجلس الرجل الكبير على كرسيه .. يضرب بيده اليسرى مسند الكرسي فيفزّ التابعان ويقفزان قفزة تثير الضحك والسخرية .. يصفّق الرجل الكبير فيجمدان وتتطلق في الوقت ذاته موسيقى سريعة الإيقاع .. يدخل الراقصون والمهرجون وهم جميعاً من القردة ، يؤدون ، جميعاً ، رقصة القرد المهرج .. وإذ ينتهون ينسحبون ، تباعاً ، إلى خارج المسرح .. ضربة صنج .. يقف الرجل الكبير .. تنسحب الثعالب البشرية خارجة من يمين المسرح بصمت .. ضربة صنج متبوعة بأصوات متداخلة للثعالب تشند شيئاً فشيئاً .. تدخل الثعالب ، ثانية ، من يسار المسرح .. تتجه نحو المدرج الهرمي لكن التابع الأيمن يشير لها باتجاه جمهور النظارة فتندفع نحو الجمهور مكشرة عن أنيابها .. تنتشر بينهم .. مهددة .. مراوغة .. تختطف أربعة رجال منهم .. تدفع الأربعة إلى خشبة المسرح .. يصعدون مرغمين .. تحيط بهم الثعالب .. تدور حولهم كما لو أنها في طقس خاص .. تقترب منهم .. تضيق الدائرة المضروبة حولهم .. تتراجع قليلاً لتنقضّ عليهم بشراسة .. يهرب ثلاثة من الرجال الأربعة إلى ما وراء الكواليس بينما يقع الأول في قبضتهم مستسلماً بلا حول ولا قوة .. تجبره الثعالب على البروك .. يبرك .. يسير

على الأربع .. يطارد معهم الرجال الثلاثة خلف الكواليس .. ضربة صنج .. يقف الرجل الكبير فيبرك التابعان .. يضرب الهواء بسوطه مهدداً .. تنسحب الكلاب إلى الخارج بصمت .. يجلس الرجل الكبير .. يقف التابعان .. تبدأ الكلاب نباحها المسعور وهي تخرج من يمين المسرح مبتعدة شيئاً فشيئاً ثم تقترب شيئاً فشيئاً من يسار المسرح .. يزداد نباحها شراسة وهياجاً وهي تدخل المسرح مطاردة الرجال الثلاثة الذين طاردتهم الثعالب قبل قليل .. تحيط بهم .. تهددهم لكنهم يقاومون .. تتبعد عنهم قليلاً تحديق لحظة ثم تنقض عليهم مهاجمة بشراسة وعنف وقسوة .. يتصاعد الغبار فيمتلئ به فضاء المسرح .. يهرب اثنان من الرجال الثلاثة إلى ما وراء الكواليس بينما يقع الرجل الثاني في قبضة الكلاب التي تجبره على الركوع والسير على الأربع ومطاردة الهارين باتجاه الكواليس .. يقف الرجل الكبير وقفة غضب .. ضربة صنج وضربة سوط تجعل الذئاب تنسحب إلى خارج المسرح بصمت .. ضربة صنج متبوعة بعواء الذئاب وهي تتبعد ، من يمين المسرح ، صوتياً شيئاً فشيئاً ثم تقترب ، من يسار المسرح ، صوتياً ، شيئاً فشيئاً .. تدخل إلى المسرح وهي تطارد الرجلين وقد كشرت عن أنيابها .. تهاجمها بحركات مدروسة ومتقنة هجوماً عنيفاً .. يهرب أحد الرجلين بينما يقع الآخر في قبضتهم .. يذعن لمشيئتهم فيسير على الأربع ثم يكشر عن أنيابه ويطارد معهم الرجل الذي تخلص من قبضتهم .. يظلم المسرح .. ومن خلال الظلام نسمع عواء الذئاب وهو يرتفع شيئاً فشيئاً حتى يستحيل إلى أصوات ضاجة مسعورة .. يستمر العواء أثناء الظلام فترة قبل أن نرى ، خلال حزمة الضوء الساقط على الكرسي ، الرجل الكبير وقد وضع راحتيه على أذنيه اتقاء الأصوات العالية المخدشة وهو يرفس الأرض بقوة وغضب .. ينظر إلى التابع الأيمن .. يرفسه ثم يرفس التابع الأيسر .. يضطرب التابعان ولا يعرفان ماذا يفعلان .. تدخل مجموعة الذئاب ، وهي ما تزال تطارد الرجل الرابع ، إلى المسرح .. تقوم بالحركات نفسها التي قامت بها منذ لحظات .. تنقض على الرابع لاهثة ومع ذلك لم يحن الرابع هامته .. تنقض ثانية .. تنهشه .. تدميه .. تسقطه أرضاً .. تدرجه .. تنهشه .. يتلوى .. يتعذب لكنه في النهاية يقف على رجليه مكابراً .. الرجل الكبير يضحك بصمت وحقد وهو يشير إليه بسوطه فتتنقض الذئاب عليه رغم تعبها وإنهاكها .. تسقطه ثانية وثالثة .. يتحامل على نفسه .. يقف بشموخ ساخراً من الرجل الكبير .. تنقض الذئاب عليه .. يبرك ولكنه يحاول الوقوف .. الذئاب البشرية تحاول الانتفاض عليه .. تخور .. تتهاوى .. تسقط أرضاً .. يجن جنون الرجل الكبير فينزل من على المدرج الهرمي للمرة الأولى .. يسوط الذئاب بقوة فتزحف ، مرغمة ، إلى خارج المسرح .. يتبعها وكأنه يسوقها ، مثل القطيع ، إلى حنفها حتى تختفي وراء الكواليس .. يعود ممثلاً بالغيظ والغضب .. يقترب من الرجل الرابع الذي ما يزال باركاً على الأرض .. يضع إحدى قدميه على ظهره ويرفسه بشدة .. يتدحرج الرجل .. يتوقف .. يحاول النهوض ثم يسقط مغمى عليه .. يزداد الرجل الكبير غضباً

.. يضرب الهرم بسوطه فينزل التابعان .. يسكب كل منهما وعاء ماء عليه .. يفيق .. يجلس بصعوبة .. يمسكانه كل من يد ويرفعانه حتى تستقيم وقفته .. ينظر إلى الرجل الكبير الذي أدار له ظهره .. وعلى نحو مفاجئ يستدير الرجل الكبير ويوجّه له رفسة قوية تسقطه أرضاً .. الرجل الرابع يتلوّى ألماً .. يحاول السيطرة على آلامه .. يقف .. يفاجأ الرجل الكبير بعناده وإصراره على الوقوف فيضربه بسوطه ضربة قوية تسقطه أرضاً .. يغمى عليه .. يرفع التابعان أوعية الماء ويصبّانها عليه حتى يفيق ثانية .. يجلس .. يحاول الوقوف .. يقف ثانية .. يزداد غيظ الرجل الكبير فيمسكه من ياقته ويجرّه بقوة ولكنه يفشل في قهره وجعله يسير على الأربع .. الرجل الكبير ينظر إلى التابعين بغضب .. يضرب الأول بسوطه فيحنني له ويسير ، أمامه ، على الأربع .. وكذلك يفعل التابع الآخر .. يسيران ، معاً ، أمام الرجل الرابع .. لكن الرابع لا يقدّهما بل يكتفي بنهرهما وضربهما كحيوانين .. واستفزازهما حتى يتحوّلا إلى حيوانين فعلاً .. يكشّران عن أنيابهما وينقضّان عليه .. ينهشان يديه .. يتهاوى مترنحاً إثر عضّتيهما .. الرجل الكبير يسوقهما بالسوط نحو مكانهما في أعلى المدرج الهرمي .. يتناول وعاء ماء .. يصبّه على الرجل الرابع .. يتناول حبلاً .. يضعه في رقبة الرابع ويحاول جرّه كما تُجر الكلاب .. الرجل الرابع ينهض .. يمسك الحبل .. يقاوم بطريقة عجيبة .. يتوجّه نحو المدرج الهرمي .. يرتقي الدرجة الأولى .. يتهبّأ التابعان للانقضاض عليه مثل ذئبين شرسين .. يرتقي الدرجة الثانية .. يرميان نفسيهما عليه لكنه يزوغ قليلاً فيسقطان .. يتدحرجان إلى أسفل .. يرتقي الدرجة الثالثة .. يشدّ الرجل الكبير الحبل إليه بقوة .. يحاول سحبه إلى الأسفل .. يسحبه فعلاً لكنه يعيد المحاولة ثانية .. يصعد إلى الأعلى .. يمسك بالكرسي الفخم .. يدرك الرجل الكبير خطورة الموقف فيشير بضع إشارات باتجاه فضاء المسرح .. يقذف طرف الحبل إلى الأعلى .. ينسحب الحبل وينسحب معه الرجل الرابع الذي يحاول التخلّص من الحبل بلا جدوى .. يسحب الحبل .. ترتفع قدما الرابع عن الأرض .. يشعر بالاختناق .. يختنق .. يتلوّى .. يرفس الهواء برجليه فترة ثم يتوقف .. يدور الرجل الكبير حوله ، بزهو ، دورة كاملة ثم يجلس على كرسيه بارتياح .. يتناول سوطه .. يضرب به الهواء فينهض التابعان .. يقفان .. يسحب كل منهما مسدّسه بحركة موحّدة يصوّبان نحو الرجل المعلق في فضاء المسرح وهما يصعدان نحو محلّيهما في أعلى المدرج الهرمي .. يرفع الرجل الكبير ذراعه الأيسر مستقيماً أمام وجهه ثم يشير بإبهامه إلى الأسفل .. ضربة صنج قوية تعقبها فترة سكون قصيرة ثم ينهال التابعان على الرجل الرابع بعياراتهما النارية .. يتلوّى الرجل الرابع ، وهو معلق في فضاء المسرح ، فترة ثم يتوقف عن الحركة نهائياً .. موسيقى بطيئة الإيقاع .. تدخل مجموعة الذئاب وتأخذ محلها على المدرج الهرمي .. تتبعتها مجموعة الكلاب ومن ثم مجموعة الثعالب .. يأخذ الكل أماكنهم كما في المرة الأولى .. يقف الرجل الكبير وقفة زهو وكبرياء وانتصار .. يبيرك التابعان .. يضرب الهواء

بسوطه فنسمع أصواتاً متداخلة لمجاميع الحيوانات .. يشير الرجل الكبير بسوطه إلى جمهور النظارة فتهيأ الذئاب والكلاب والثعالب للانقضاض على الجمهور لكن الحركة تتوقف على خشبة المسرح بينما يستمر الصوت المتداخل لمجاميع الحيوانات بالتقدّم نحو جمهور النظارة عن طريق مكبرات الصوت التي زُرعت على امتداد صالة العرض .. تثبت .. الصورة متوقفة تماماً بينما يستمر العواء والنباح المتداخل بالزحف نحو جمهور النظارة حتى وهم يغادرون صالة العرض بانزعاج وضجر .

بعقوبة 1998

سلاميات في نار صماء

شخوص المسرحية
المرأة - الرجل - الرجال الثلاثة

نشرت في سلسلة (الق) مشهد ديالى الثقافي (2) ربيع 2000

(1)

موسيقى رومانس .. تضاء الخلفية (السايك) من مؤخرة المسرح .. تظهر المرأة والرجل أمام الخلفية يحتضن كل منهما الآخر كما لو كانا تمثالين .. يضاء المسرح اضاءة باهتة فنرى ثلاثة تماثيل بشرية .. الاول على منطقة اسفل يمين المسرح وهو لرجل كهل ذي لحية بيضاء طويلة يحمل صولجان يميزه عن الآخرين .. الثاني لرجل ، ذي لحية سوداء قصيرة ، بترك أمام الثالث الذي يشابهه في اللحية ويقاربه في العمر .. الاثنان معا ، يشيران الى المرأة والرجل .. تمتزج مع الموسيقى اصوات غريبة تبدد الهدوء المموسق شيئاً فشيئاً حتى تتحول الى صخب هادر .. تسقط صاعقة من اعلى (السايك) الخلفية على رأسي المرأة والرجل فيبتعدان عن بعضهما مرغمين .. تتعالى اصوات الرعد ويزداد البرق ويتصاعد زئير العاصفة .. الرجل والمرأة يقاومان .. يترنحان .. يتدحرجان من اعلى المرتفع الى اسفله .. ينهضان كل في جهة من جهتي المرتفع .. يقاومان .. يحاولان الصعود ثانية لكنهما يفشلان .. تخور قواهما شيئاً فشيئاً .. و شيئاً فشيئاً تهدأ العاصفة ويختفي البرق ويسود الظلام .

موسيقى الناي نسمعها من خلال الظلام .. تفتح الاضواء ، تدريجياً ، فيظهر الرجل جالسا .. منهكا في وسط المسرح .. تدخل من يمين المسرح ويساره شجرتان من الورد .. تتقدمان صوب الرجل .. تقدمان له باقتين من الورد .. يأخذهما .. يضمهما بعضهما الى بعض .. تتسحب الشجرتان الى خارج المسرح .. يسمع صوتا غير واضح ولا مفهوم فيضع باقة الورد على حافة المرتفع بلا مبالاة .. يتسمع .. يحاول ان يحدد جهة الصوت .. يميز فيه صوت امرأة فيبحث عن مصدره بهوس .. وإذ لايجد شيئاً على الخشبة يهرع الى خارج المسرح من جهة اليسار .. تزيح المرأة عنها الركام الهائل من الاغصان و الاشياء عند حافة المرتفع .. تظهر بكاملها .. تبحث هنا وهناك .. أسفل وأعلى المرتفع و حواليه .. وإذ لا تجد الرجل تجلس حزينة مهمومة في المكان الذي كان الرجل جالسا عليه .. يعلو من البعيد صوت الناي بنغمه الحزين .. تدخل من يسار ويمين المسرح شجرتان .. تقدمان للمرأة باقتين من الزهور .. تأخذهما .. تضمهما الى بعض .. تتسحب الشجرتان الى خارج المسرح .. تسمع صوتا قادما من البعيد .. تضع الزهور بلا مبالاة على حافة المرتفع فترى الباقة التي وضعها الرجل .. تحمل الباقتين وهي تبحث عن مصدر الصوت .. تميز صوت رجلها فتهرع الى خارج المسرح من جهة اليمين .. تطفأ الاضواء .. موسيقى فالس .. تفتح الاضواء .. تدخل المرأة من يمين المسرح ويدخل الرجل من يساره و هما يتقدمان كل منهما صوب الآخر .. يمسكان كل منهما يد الآخر .. يتقدمان الى اسفل وسط المسرح .. يرقصان الفالس بأداء متقن .. تمتزج مع الموسيقى اصوات غريبة مخيفة مرعبة .. يتوقفان عن الرقص .. يهرع كل منهما الى جهة من جهتي المسرح ..

يتراجعان ببطء الى وسط الخشبة .. يستديران كل نحو الآخر .. يركضان كل منهما صوب الآخر .. وقبل ان يلتحما يسقط من فضاء المسرح سيف ضخم .. ينغرز جزء من نصله في ارضية الخشبة .. ويظل قائما بينهما .. حائلا دون لقاتهما .. يمدّ كل ، يده ، نحو الآخر .. تطفأ الاضواء ونرى في الظلام قفازات أيديهم واقدامهم الفسفورية ، فقط ، وهي تطارد من قبل السيف الذي يلمع في الظلام هو الآخر ويتحرك مهاجما إياهم هنا وهناك .. يقتربان .. يلتحمان .. يحمي كل منهما الآخر لكن السيف ينقض عليهما فيصرخان .. تغطي صراخهما موسيقى الناي باداء طقوسي حزين أو اصوات همهمات كورالية تؤدي طبقة واطئة .. يضاء المسرح في بقعتين ضوئيتين يظهر فيهما الرجل والمرأة وقد تمدد كل منهما تحت صليبه . الرجل في يسار المسرح والمرأة في يمينه .. يتحرك الرجل ببطء وكأن الحياة دبّت في عروقه ثانية .. وكذلك المرأة .. يرفعان رأسيهما .. ينظران الى بعضهما .. يزحفان باتجاه بعضهما .. وقبل ان يلتقيا يهبط من فضاء المسرح مشبك من القضبان الحديدية يحول بينهما .. ينظران الى بعضهما باستغراب .. يُمسكان بالقضبان الحديدية .. يتعانقان من ورائها .. ينفصل المشبك الى مشبكين يباعدان بين المرأة ورجلها .. يدفعانها باتجاهين متعاكسين .. يطاردانها .. يراوغانها بحركات متقنة وكأن القضبان تطاردهما لتفوت عليهما فرصة اللقاء ، ثانية ، ثم تحاصرهما عند الكواليس في جهتي اليسار واليمين .. يقاومان .. يدفعان القضبان الحديدية في محاولة للبقاء على الخشبة لكن القضبان تفرض سيطرتها فتدفعهما الى الخارج وراء الكواليس .. نسمع من وراء الكواليس صرخة قوية وصخباً هائلاً .. تطفأ الأضواء.

(2)

يضاء المسرح .. يدخل الرجل وهو يتحرك حركات سريعة في محاولة لشق الزحام الوهمي المضروب أمامه .. ترتفع أصوات محركات السيارات ومنبهاتها و ضجيج المارة .. ينظر من فوق الأكتاف الوهمية .. يحاول أن يجد امرأته دون جدوى .. ينتقل هنا وهناك .. يمر من بين هؤلاء وأولئك .. يتوقف إذ يلمحها وسط الزحام .. يتبعها ، بسرعة ، وهو يخرج من يمين المسرح .. تدخل المرأة من يسار المسرح .. أصوات محركات السيارات وضجيج المارة آخذ في الارتفاع .. وبحركات مشابهة لحركاته تقوم المرأة بالبحث عنه دون جدوى .. تلمحه فتتوقف عن الحركة ، برهة ، ثم تتطلق خلفه لتخرج من يمين المسرح أيضاً .. يتوقف الضجيج .. تطفأ الأضواء.

(3)

بقعة ضوء دائرية يظهر فيها الرجل و المرأة في جلسة عاطفية أسفل المرتفع .. قواعد التماثيل خالية من نصبها البشرية الثلاثة .. يقترب الرجل من المرأة .. يلتصق بها واذ يهم بتقبيلها تقاطعه أصوات كلاب شرسة قادمة من البعيد .. تقترب الأصوات شيئاً فشيئاً .. يدخل الى المسرح ثلاثة كلاب بشرية .. ترتقي ، متحفزة ، قواعد التماثيل لحظة ثم تنقض مهاجمة المرأة و الرجل .. يصعدان الى أعلى المرتفع .. تتبعهما الكلاب .. يدافعان عن نفسيهما بالحجارة لكن الكلاب تستمر في الصعود اليهما حتى تنقض عليهما وتطفا الأضواء .

(4)

تفتح الأضواء .. يدخل الرجل وكذلك امرأته من جهتي المسرح وقد ربط كل منهما بحبل يمتد الى ما وراء الكواليس .. يتقدمان صوب بعضهما .. يحاولان احتضان بعضهما لكن قصر الحبل يحول دون ذلك .. يحاولان مرة أخرى عن طريق النزول الى أسفل اليسار و اليمين ولكنهما يفشلان أيضاً .. يسحب كل منهما حبله بقوة دون جدوى .. يتوقفان عن المحاولة .. يتبع كل منهما حبله الى ما وراء الكواليس ثم يعودان الى مكانهما .. يمد كل منهما يده نحو الآخر .. وبصعوبة تتشابك أصابعهما .. يبتهجان .. يقفزان فرحاً .. يدخل رجلان مقنعان من جهتي المسرح وكل منهما يمسك بطرف من طرفي الحبلين .. يتقدمان بسرعة نحوهما .. يدوران حولهما .. يلفانهما بالحبلين ويتوقفان عن الحركة ، تماماً ، لمجرد ظهور المقنع الثالث فوق المرتفع وكأنه يقف فوق رأسي المرأة و الرجل .. ينظر إليهما .. والى المقنعين .. يشير برأسه علامة الموافقة ويختفي .. المقنعان يشهران مسدسين .. يصويانهما نحو المرأة و الرجل .. يطلقان في آن واحد وينسحبان .. يتلوى الرجل وكذلك المرأة .. تسقط الحبال من حولهما .. يترنحان .. يتمايلان بعض الوقت ثم يتوقفان عن الحركة نهائياً.

(5)

تظهر التماثيل الثلاثة ، مرة أخرى ، على قواعدها بينما يختفي المرتفع لنرى في محله نغشين .. موسيقى مارش جنائزي .. أو ترتيلة كنسية .. أو همهمة كورالية .. ينزل ، من على قاعدة التمثال الأول ،الرجل الكهل ذو اللحية البيضاء .. يسير نحو وسط المسرح .. يقف عند

رأسي النعشين .. يشير اليهما بصولجانه .. ينهضان ببطء .. يحركان أيديهما ببطء .. يقفان .. يتحركان حركات تعبر عن قيامهم من الموت (يمكن أن يكون أداء النهوض من الموت أداء شبيهاً بالباليه) .. يتحركان صوب التمثالين الآخرين .. يقفان عندهما فينزل الآخران من على قاعدتيهما .. يتقدم الرجل الثاني صوب المرأة بينما يتقدم الثالث صوب الرجل .. المرأة و الرجل يتراجعان الى الخلف .. يرتطمان بالرجل الكهل ذي اللحية البيضاء فيقفزان فزعاً ويهربان الى جهتي المسرح .. يتقدمان صوب بعضهما .. يمسك كل منهما بيد صاحبه ويتقدمان نحو الرجال الثلاثة .. يجلسان أمامهم .. يحنيان رأسيهما وجذعيهما .. الكهل يشير الى الثاني و الثالث فيبتعدان الى وسط اليمين و وسط اليسار ويظلان جامدين في محلها .. يشير بصولجانه الى المرأة فتتهض وكذلك الرجل .. يضع صولجانه على كتف الرجل فيختض بقوة ثم يجمد في محله .. الكهل يتابع المرأة فتتراجع أمامه بخوف .. يرمي صولجانه .. يتبعها محاولاً الإمساك بها لكنها تفلت منه .. تراوغة .. تفلت منه .. تدور حول الشواخص الثلاثة .. يمسك بها في أسفل وسط المسرح .. يرغمها على البروك ثم التمدد على أرضية الخشبة .. يحاول رجلها أن يتحرك .. أن يتخلص من القوة التي سمرته في مكانه .. يستمر الكهل في اضجاع المرأة على الأرض .. يتحرر الرجل .. ينقض على الكهل وفي الوقت نفسه تركله المرأة بقوة .. الرجلان الثاني و الثالث يشيران اليهما معاً فيوقفانهما عن الحركة ثم يرغمانهما على الوقوف أعلى وسط المسرح .. يشير الكهل على الرجلين بالخروج فيخرجان .. يعطي اشارة خاصة فتطفأ الأضواء .. ومن خلف السايك تظهر ألسنة اللهب الصماء وهي تتصاعد شيئاً فشيئاً .. ينسحب الكهل تاركاً المرأة و الرجل يكتويان باللهب حتى تنزل الستارة معلنة انتهاء المسرحية.

بعقوبة 1998

* * *

هرم الصمت السداسي

شخوص المسرحية
السجين - الأشخاص الثلاثة
المرأة الأولى - المرأة الثانية
المتسللون - العسكريون الثلاثة
الشياطين الثلاثة

نشرت في مجلة (ألف باء) العدد 1723 في 2001/10/3.

مع بدء الظلام يرتفع صوت الناي تدريجياً .. وتدرجياً تتوهج حزمة الضوء الساقطة على القضبان الحديدية التي تتوسط خشبة المسرح .. تمتزج اصوات الآلات الموسيقية الأخرى بصوت الناي في ملحنة يزداد ايقاعها سرعة كلما توهج الضوء وتحرك السجين تحت غطائه الخفيف .. على مبعده من سريره في اعلى وسط المسرح وعلى مكان مرتفع نسبياً نرى ثلاثة اشخاص ، لاشتداد الظلام ، يصعب رؤيتهم بوضوح .. الاشخاص الثلاثة مع الهرم الذي يقفون عليه يشكلون خلفية للصورة المسرحية طوال العرض .. السجين يتلوى تحت الغطاء .. يتكور على بعضه .. يرفس الغطاء بقوة فيزيحه من عليه .. يتلوى .. يسقط على الارض .. يزحف نحو القضبان الحديدية .. يمسكها .. يحاول النهوض مستعينا بها .. يتعاضم شعوره بالألم .. يمسك بطنه .. يعتصرها بيده وهو يتصعب عرفاً .. يتلوى .. يسقط على الارض .. يحاول النهوض .. ينهض ينظر عبر القضبان .. يمد يده خارجها مستجداً .. ترتد يده ببطء .. يبتعد عن القضبان .. يتوجه ، مترنحا ، نحو يسار المسرح .. ينظر الى ما وراء الكواليس .. يشعر باليأس .. ينتقل ، مترنحا ، الى يمين المسرح ثم الى اعلى وسط المسرح .. يعود الى فراشه خائبا ، منكسرا ، متألماً .. يجلس عند حافة سريره منكفئاً .. ينتبه لحزمة الضوء .. ينظر اليها بامعان وثبات .. يحاول الابتسام لكن ابتسامته سرعان ما يتلبسها الألم .. يقطب حاجبيه .. يبدو كما لو انه يشرع بالبكاء ولكنه يكابر الألم الذي راح يمزقه من الداخل بقوة وهو مايزال ينظر باتجاه حزمة الضوء .. يقف .. يصعد على سريره بصعوبة .. يمسك بطنه .. يعتصرها بيده .. يمرر يده الثانية على صدره .. يضغط بها على منطقة القلب كما يفعل مريض القلب عند بدء نوبته .. يمد يده اليسرى باتجاه الضوء .. يفتح فمه في محاولة للصرخ أو النداء لكنه يتوقف ، مرغماً ، عن الحركة .. حزمة الضوء تختفي تدريجياً (Fade out) ، يظلم المسرح .

*

تفتح الاضواء .. الرجل الذي كان سجيناً يرتدي الآن ، بزه عسكرية ويحمل بيده بندقية آليه وهو يتحرك جيئةً وذهاباً كما يفعل الخفراء .. الاشخاص الثلاثة مايزالون في وقفتهم على الهرم .. في وسط المسرح ، وعلى المكان الذي نصبت عليه القضبان الحديدية ، في المشهد السابق ، نرى بوابة ضخمة تشبه ، الى حد ما ، نسرأً هبط على ارض المسرح توا .. يستمر الخفير بالروح والمجئ .. يتوقف في وسط المسرح .. يجلس على صخرة صغيرة .. يخرج عليه سجائر .. يضع بندقيته جانبا ويدخن .. يشعر بحركة في الجوار .. ينهض .. يركز انتباهه في محاولة لمعرفة مصدر الصوت ومكان الحركة .. ينظر نظرة بانورامية الى كل الجهات .. تستاثر باهتمامه البوابة النسرية فيتألمها .. يلمسها .. يتأكد من انغلاقها ثم يعود الى الصخرة ليجلس عليها .. يسمع صوتاً آخر .. فهقهة بعيدة مثل فهقهات فتيات الملاهي .. يضع يده على

اذنه .. يستمع .. يتأكد ان الصوت قادم من جهة اليمين .. يقف .. يرفع بندقيته .. يسحب أقسامها بقوة ويهيئها للإطلاق .. ينظر باتجاه اليمين متحفزا .. يفاجأ بامرأة تتقدم نحوه مباشرة .. يصوب بندقيته اليها .. تتوقف .. تتحرك في محلها بغنج .. يستمر في مكانه ماسكا البندقية بقوة وتأهب .. تقترش المرأة رداءها الخارجي على الارض .. تمسك ، باطراف أصابعها ، أزرار قميصها الزهري .. تبدأ بفتح الازرار واحدة فواحدة . تخلع قميصها .. تتمدد على الارض بوضع مثير .. الرجل الخفير لايهتم كثيرا لحركاتها المثيرة .. ينظر جهة اليسار .. يتأكد من خلو المكان من أي متسلل .. يقف في مكانه لا يبرحه .. تأتي امرأة أخرى .. تمشي بطريقة راقصة و مثيرة .. تقف عند قدمي المرأة الاولى .. تنتظر اليه و تبتسم .. ترسل اليه قبلة هوائية .. تتحرك بضع حركات موضعية للفت انتباهه و اثارته .. الرجل لا يأبه بها .. تبدأ بخلع قميصها بطريقة أكثر إثارة من سابقتها .. يتسلل من يسار المسرح ثلاثة رجال على رؤوسهم نجمات سداسية الرؤوس .. يستغلون انشغال الخفير بالنظر الى المرأتين .. وحالما ترى المرأة الثانية الرجال المتسللين تبدأ جاهدة , لفت انتباه الخفير اليها .. تزداد سرعة الموسيقى .. تخلع قميصها و تظل بالفانيلة و الشورت .. تستلقي فوق زميلتها .. تداعبها تقومان معا .. ببعض الحركات الماجنة .. تشيران اليه ان يشاركهما عبثهما المثير .. الخفير يرمي عقب السيارة و يسحقها بقدمه بقوة و حركة توحى بانفعاله و تردده .. يغير في وقفته فيبدو أكثر استرخاء من السابق .. يتسلل الرجال الثلاثة أكثر .. تزداد الموسيقى نزقا .. تتحرك المرأتان بوحشية و مجون وفجأة يستدير الخفير الى يسار المسرح .. يفتح النار على المتسللين الثلاثة ويرديهم قتلى .. تلعو اصوات الطبول المصحوبة بضربات الصنوج .. تتناول المرأتان قطع الثياب بذعر و تهرولان .. تطفأ الاضواء بالتناوب على أجزاء الخشبة بينما يستمر الضوء على الخفير فترة قبل أن يسود الظلام .

*

تفتح الإضاءة ، ثانية ، فرى الخفير مجردا من سلاحه ، ونطاقه ، وخوذته ، وقد كبلت يداه .. تنطلق اصوات الأبواق معلنة عن مقدم الاشخاص الثلاثة .. ينزلون بواسطة ثلاثة سلام ثبتت على يسار ويمين وأمام الهرم .. تفتح البوابة النسرية ويدخل منها الاشخاص الثلاثة الى خشبة المسرح .. تنزل من فضاء المسرح ثلاثة مكعبات مختلفة الارتفاعات رسم على واجهاتها الامامية ميزان العدل .. يجلس الاشخاص الثلاثة عليها .. يخرج الشخص الذي يجلس في الوسط ، من تحت جيبه ، مطرقة ويضرب بها الهواء ثلاث مرات .. يقف الثلاثة معا .. وبحركة واحدة منسقة يصعدون كل على مكعبه الخاص .. يرفع كل منهم يده اليمنى الى جانبه كما لو كان يؤدي يمينا .. ثم يسقطون أيديهم دفعة واحدة .. تتصاعد ضربات الطبول وتهبط القضبان الحديدية من فضاء المسرح .. تتوقف في وسط المسافة بين السقف والارض .. يشير الثلاثة ،

معا ، الى الرجل المجرد من سلاحه فيقف في وسط المسافة خلف القضبان .. يفتح الشخص الاوسط ذراعيه الى الجانبين .. تدخل من يسار المسرح ويمينه المرأتان السابقتان .. تقف كل واحدة منهما الى جانب الشخص الذي يقف في الجهة التي اقبلت منها .. يمسك الشخصان المرأتين ويقودانهما الى اعلى الهرم كل من السلم الذي نزل منه قبل قليل .. تطفأ الأضواء .

*

تفتح الأضواء .. خشبة المسرح خالية تماما .. موسيقى تتلائم وحركات قطع الديكور .. تهبط من فضاء المسرح نجمه سداسية كبيرة ..تستقر في الفضاء الخالي للخشبة ثم تهبط ، بعد ذلك ،المكعبات الثلاثة نفسها بطريقة درامية لتستقر على نفس اماكنها السابقة على الخشبة .. تطفأ الأضواء .. تفتح الأضواء .. نرى ثلاثة عسكريين مجردين من السلاح وقد ربطت أيديهم خلف ظهورهم وهم يجلسون على المكعبات الثلاثة .. ينظرون بخوف وترقب الى جهتي المسرح .. ضربة صنج قوية تتبعها موسيقى رقصة الشياطين الثلاثة .. يدخل الى الخشبة من يسار المسرح ويمينه ومن اعلى الوسط ثلاثة اشخاص يرتدون الملابس السود وعلى وجوههم اقنعة سود تشبه اقنعة رجال الإعدام .. وعلى ظهورهم عباءات سود كتلك التي يرتديها الكهنة .. يرقصون بحركات غريبة وفي يد كل منهم قضيب رفيع مدبب النهاية يشبه الى حد كبير (شيش المبارزه) .. حركاتهم كلما تقدمت الرقصة تبدو اكثر غرابة وهي تعبر ، في كثير من الأحيان ، عن حقدهم الدفين ورغبتهم في التعذيب والقتل .. يتقدمون ، في نهاية الرقصة من العسكريين الثلاثة مهددين إياهم بسمل عيونهم .. يتراجعون .. يندفعون نحوهم بسرعة ثم يتوقفون .. يضع كل منهم طرف القضيب المدبب على عين رجل من العسكريين الثلاثة .. يسحبه الى الخلف ببطء ثم يدفعه ، الى الامام ، بقوة وعنف وغضب وحقد .. يصرخ العسكريون الثلاثة صرخة قوية ومدوية .. يسحبون القضبان من عيونهم .. تتكرر الصرخة ثانيه وتتدلى ، على الفور ، رؤوسهم على صدورهم .. الشياطين الثلاثة يقفزون فرحا وهم يرفعون القضبان الى الاعلى و يخفضونها ثم يرفعونها ثلاث مرات كدلالة على الانتصار .. ينتبه الشياطين الى وجود شخص ما على المسرح .. يظهر رأس الرجل السجين / الخفير وهو ينظر اليهم من مكان خفي على المسرح .. ينقضون عليه فيفاجئهم بظهوره شاهرا بندقيته الآلية صوبهم .. يفتح النار عليهم ويرديهم قتلى ..

*

تفتح الأضواء .. أشخاص الهرم الثلاثة أنفسهم يقفون على المكعبات الثلاثة نفسها امام البوابة النسرية .. يرفعون أيديهم كما لو كانوا يؤدون اليمين .. يخفضونها ثم يشيرون بها الى الاعلى .. تهبط من فضاء المسرح القضبان الحديدية نفسها .. يقف الرجل السجين .. الخفير / الاعزل خلفها وظهره الى جمهور النظارة .. ينزل الثلاثة من على مكعباتهم .. يتقدمون نحو الرجل السجين فيتراجع .. يصطدم بالسرير .. يسقط عليه .. يستمر الثلاثة بالتقدم نحوه بطريقه

تشعره بالخوف .. الشخص الاوسط يضع على وجهه قناعا يشبه قناع الشياطين الثلاثة .. تهبط من فضاء المسرح ثلاث قضبان هي نفس القضبان التي استخدمها الشياطين من قبل .. يتناولونها ويتقدمون نحو السجين .. يزحف السجين متراجعا .. يضعون اطراف القضبان المدببة على موضع في منتصف بطنه ويدفعونها بقوة فيصرخ السجين صرخة خرساء مكتومة .. تطفأ الأضواء بالتعاقب .. ينسحب الاشخاص الثلاثة الى أماكنهم في قمة الهرم .. حزمة الضوء تظل ، وحدها ، متوهجة على خشبة المسرح ونرى خلال توهجها الرجل السجين ممسكا ببطنه .. يرفع يده .. يراها ملطخة بدمه .. يعتصره الألم .. يبحث عن ينجده هنا أو هناك .. يرتد خائبا .. يتوجه نحو الارض .. يمسك بالقضبان الحديدية وهو ينظر الى جمهور النظارة حتى يتوقف عن الحركة بينما يستمر نزفه بلا توقف.. وبلا توقف يسيل الدم في مجرى محدد نحو الجمهور .. وبين دهشة الجمهور وخوفهم من ان تلتخ الدماء ملابسهم تطفأ الأضواء ويسدل الستار على الدم .

بعقوبة 1999

* * *

شواهد الصمت المروضة

شخوص المسرحية

الرجال الأحياء

الرجل ذو الملابس الحمر

الرجال الموتى - التابعان

الرجل الحي - أبناء الأحياء

الشاب المتمرد

نشرت في مجلة ((ضفاف)) في النمسا العدد (6) شباط (2001)

قبل بدء العرض بلحظات نسمع همهمة كورالية او مارشاً جنائزياً يستمر لبرهة قبل رفع الستاره .. حزمة ضيقة من الضوء تسقط ، تدريجياً ، على كرسي فخم وضع على مدرج في أعلى وسط المسرح ثم تختفي .. حزم صغيرة أخرى ، من الضوء ، تسطع ، تدريجياً أيضاً ، على شواهد قبور وزعت على الخشبة بشكل مدروس ، ثم تختفي ... تتناوب الحزم الضوئية بالسطوع والاختفاء بين الكرسي والشواهد .. تتوقف حركة الضوء على درجه شديدة الخفوت .. يظهر من خلف الشواهد رجال أحياء .. يقفون بخشوع وإذلال ثم يستديرون نحو الكرسي .. يظهر الرجل ذو الملابس الحمر جالساً على كرسيه بشموخ وكبرياء لا تليق به .. يقف بخيلاء .. يضرب الهواء بسوطه فترتفع همهمات الكورال ارتفاعاً مؤثراً .. ينزل الرجل ذو الملابس الحمر درجة واحدة ، ثم يضرب بسوطه فتمتزج أصوات غير واضحة ولغظ شديد مع الهمهمات .. ينزل درجة أخرى ويضرب الهواء بسوطه فيتوقف الضجيج .. يرفع سوطه مهدداً مشيراً به الى مجموعة الأحياء إشارة بانورامية ثم يضرب الهواء بسوطه ثانية وثالثة ورابعة حتى يبدأ الأحياء ضرب الأرض بأقدامهم ضربات رتيبة تتزايد قوة كلما ضرب الرجل ذو الملابس الحمر الأرض أو الهواء بسوطه .. يستمرون في ضرب الأرض بينما يغفو الرجل ذو الملابس الحمر ، على كرسيه ، هانئاً .. تتعالى موسيقى طقسية أو موسيقى رعب بينما تخفت ضربات الأقدام شيئاً فشيئاً .. يتطاير ، من عند كل شاهدة ، دخان كثيف .. ينهض الموتى الراقدون عند شواهدهم .. يؤدون حركات النشور والانبعاث والنهوض من الموت .. يتمايلون .. يترنحون .. يتألمون ثم ينفضون عنهم تراب الموت .. يقف كل ميت بملابسه البيض ، وبالأحرى بكفنه مقابل الرجل الحي الذي يقف عند شاهدته .. يطأطئ الرجال الأحياء رؤوسهم .. يسيرون الى الرجل ذي الملابس الحمر .. يبركون على الأرض .. يخفضون أيديهم واجمعين منكسرين مندحرين .. يتحرك الاموات باضطراب .. يدورون حول الأحياء ثم يتوقفون .. يتقدم أحد الموتى نحو الرجل ذي الملابس الحمر وعند الدرجة الاولى للمرتفع يصطدم بجدار وهمي فيرتد خائباً .. يضحك الرجل ساخراً .. يتقدم ميت آخر وآخر ثم يتقدم الموتى دفعة واحدة يصطدمون بالجدار نفسه فيرتدون خائبين .. يرمقون الأحياء بنظرة قاسية مزدرية ويعودون الى قبورهم فيتمدد كل منهم قرب شاهدته بشكل طقوسي مثير للحنن .. ضربة صنج .. يقف الرجل ذو الملابس الحمر بزهو وانتصار يضرب الهواء بسوطه مرة أخرى .. تبدأ مجموعة الأحياء ضرب الأرض بأقدامها كما في المرة الاولى .. يزداد الضرب قوة كلما ضرب الرجل ذو الملابس الحمر الهواء بسوطه .. يستمرون في الضرب .. يغفو الرجل ذو الملابس الحمر على كرسيه .. يزداد الضرب فينهض الاموات .. يخلع كل منهم قطعة من كفنه ويرميها نحو الرجل الذي يقف عند شاهدته .. يمسك الأحياء بقطع الاموات .. يحاولون سحبهم بلا جدوى .. يلفون القطع على اجسادهم ويسحبون بلا جدوى .. يفلت الموتى قطعهم من ايديهم .. يضمها الأحياء الى صدورهم .. يتقدم احدهم

نحو الرجل ذي الملابس الحمر .. يرمي قطعة الكفن على رأسه ومثله يفعل الآخرون ثم ينسحبون ليوقف كل منهم قرب شاهدة من شواهد القبور .. يستيقظ الرجل ذو الملابس الحمر .. يتحرك بصعوبة أول الأمر كأنه يقاوم قوى سحرية غريبة .. يتحرك بغضب .. يتمكن من السيطرة على تلك القوى السحرية .. ينهض فيجفل الاحياء .. يزيح من على رأسه قطع الاكفان .. يضرب بسوطه الهواء .. يدخل اثنان من اتباعه .. أحدهما من يسار المسرح والآخر من يمينه .. يحمل كل منهما وعاء يضعه ، باحترام جم ، تحت قدم الرجل ذي الملابس الحمر .. يتناول الرجل قطع الاكفان قطعة قطعة ويرميها في الوعائين بسخرية وازدراء .. تسود الاحياء دهشة كبيرة و تعجب من فعلته التي لم تؤد الى قلب وضعه رأسا على عقب .. يرفع الرجلان التابعان الوعائين بينما يتصاعد الدخان من الوعائين كثيفا جدا .. يدوران بالوعائين حول الاحياء ثم يخرجان كل من الجهة التي أقبل منها .. يضرب الرجل الهواء بسوطه .. يتحرك الاحياء بذعر حركة مضطربة .. لا يفهمون ما يرمي اليه فيضرب مرة أخرى وأخرى حتى ينحني له الجميع ويركعون ثم يسرون على الاربع فيتوقف الرجل عن الضرب .. يدخل الرجلان التابعان وهما الرجلان نفسهما اللذين دخلا قبل قليل يقفان على أول المرتفع ويشيران الى اثنين من الاحياء فيقتربان وهما يسيران على الاربع كالدواب .. يركبان فوقهما .. يدوران بهما ثم يعودان الى مكانهما وهكذا يتقدم الآخرون لينفذوا هذه الحركة إلا واحداً يراه الرجل ذو الملابس الحمر فيقف غاضبا ضاربا الهواء بسوطه مرة أخرى دون أن ينفذ له الرجل الحي ما يريد منه .. ينزل من عليائه .. يضم الرجل الحي كفيه الى بعضهما ويرفعهما الى الأعلى كما لو كان معلقا بحبل .. يضربه الرجل ذو الملابس الحمر عدة ضربات حتى يفقده السيطرة على ساقيه فيترنح بألم لكنه قبل ان يسقط ارضا يتماسك ويعود الى وقفته بشموخ وإباء بيتسم ساخرا من الرجل ذي الملابس الحمر الذي أخذ منه الغضب كل مأخذ وهو يلوح بالسوط ، مرة أخرى ، مهددا .. يضرب الهواء اولا فيرفع الرجل ذراعيه الى الاعلى كما في المرة الاولى ثم يصليه ذو الملابس الحمر بعدة ضربات حتى يجعل رأسه تتدلى على جذعه فتهبط ذراعه ويترنح قليلا قبل ان يسقط فاقتدا وعيه .. يصعد ذو الملابس الحمر الى كرسيه .. يتقدم الرجلان فيسكبان وعائين من الماء عليه حتى يفيق .. يجلس .. يتحسس جسمه .. يقف باصرار .. يقف الرجل ذو الملابس الحمر واثقا من ارغامه على فعل ما يريد .. يضرب الهواء بسوطه مرة أخرى بينما يظل الرجل الحي واقفا بشموخ .. يحار الرجل ذو الملابس الحمر باعطاء ردة فعل تتناسب والموقف الصعب .. يقرر ، أخيرا ، أن يدس يده تحت ملابسه ويسحب مسدسا يصوب فوهته الى الرجل الحي بضع ثوان قبل أن يطلق عدة طلقات .. يسقط الرجل الحي ميتا .. يتقدم التابعان .. يضعانه على ظهري اثنين من الرجال الدواب ويسوقانها الى خارج المسرح .. الاحياء ينظرون الى الرجل ذي الملابس الحمر صاغرين وهم ما زالوا على الاربع .. يضرب الرجل الهواء بسوطه فينسحبوا الى

ما وراء الكواليس .. يظل الرجل وحده .. يدور حول كرسيه بزهو .. يتقدم نحو جمهور النظارة .. يقف عند حافة المسرح .. يركز بصره على الجالسين في الصف الامامي لصالة العرض .. يؤدي حركات بهلوانيه توحى بالتهديد .. يحاول اخافتهم فعلا .. يضرب السوط باتجاههم عدة مرات .. يتوقف .. بيتسم بدعابة فجة ثم ينسحب الى كرسيه .. يدور حوله مرتين بحركات شيطانية ثم يضرب الهواء بسوطه فتدخل مجموعة الاحياء وهي تمشي على الاربع يصحبها ابناؤها وهم في مقتبل العمر شبابا وصبية يافعين .. ينزل درجة واحدة يضرب بسوطه فيدور الشباب والصبية حول الكبار ، إلا واحدا ، دورة كاملة وهم يرفعون أيديهم بحركات مهددة .. ينقضون عليهم ويأخذون بخناقهم حتى يموت الاحياء كلهم ويتمددون قرب الاموات .. موسيقى .. يرقص الشباب بخيلاء وزهو وابتهاج بفعلتهم وعلى إثر ضربة سوط .. يبدأ الشباب ضرب الارض بأقدامهم بايقاع مشابه لايقاع مجموعة الأحياء السابقة .. ضربة سوط أخرى يزداد الضرب بينما يغفو الرجل ذو الملابس الحمر على كرسيه .. تغلو الموسيقى ويخفت ايقاع الضرب ويتصاعد من الشواهد دخان مضطرب الحركة .. ينهض الأموات السابقون واللاحقون .. يترنحون على المسرح باضطراب وبوحشية يطاردون الشباب والصبية مذعورين خائفين يستيقظ الرجل ذو الملابس الحمر .. يضرب الهواء بسوطه مرتين فيضطرب الاموات .. يتوقفون .. لاتكاد ارجلهم تقوى على حملهم لضعفها ورجفانها .. يستعيد الشباب رباطة جأشهم فينقضون على الاموات ويشبعونهم ضربا ورفسا ويجبرونهم على العودة الى موتهم مرة أخرى .. ضربة سوط .. يركع الجميع .. ضربة أخرى .. يسيرون على الاربع إلا واحدا وهو نفس الواحد الذي تنحى جانبا ولم ينفذ أمر الرجل ذي الملابس الحمر .. يفاجأ به الرجل ذو الملابس الحمر .. ضربة .. سوط .. ينسحب الجميع الى خارج المسرح .. ينزل الرجل درجة .. درجتين .. يضرب الهواء بسوطه .. يدخل التابعان .. يحمل كل منهما بندقية آلية .. يقفان الى جانبي الرجل ثم يتقدم الثلاثة نحو الشاب المتمرد .. يشهر الرجل ذو الملابس الحمر مسدسه في وجه الشاب فيهرب نحو جمهور النظارة ويختفي بينهم .. يستمر الثلاثة بالتقدم حتى حافة المسرح الامامية .. يصوب الرجل ذو الملابس الحمر مسدسه نحو جمهور النظارة .. يطلق طلقة واحدة فينهال التابعان على جمهور النظارة بوابل من نيرانهم حتى تطفأ الأضواء ، ويسدل الستار على المسرح .

بعقوبة 1999

أزمة صاحب القداسة

شخص المسرحية

الكاهن - الأول - الثاني

الفتى - مجموعة من الرجال والنساء

نشرت في سلسلة (ألق) مشهد ديالى الثقافي (3) ربيع 2001.

موسيقى طقسية أو همهمة كورالية مرتلة .. تطفأ الاضواء في الصالة .. يضاء المسرح باضاءة رأسية أو سفلية بحزم دائرية تسقط ، فقط ، على التماثيل الثلاثة الموضوعة على خشبة المسرح والتي يتوسطها كبير التماثيل المثبت ، تمييزاً له ، على قاعدة مدرجة .. حزمة أخرى تسقط على الكاهن (بالزي الأحمر) وهو يقف على منطقة وسط الوسط مواجهها كبير التماثيل .. رافعا اطراف رداءه الى الاعلى بحركة كهنوتية تقليدية .. تضاء اجزاء الخشبة الأخرى باضاءة فيضية خافته فنرى المجموعة (بالزي الأبيض) باركة على الارض مقلدة حركة الكاهن .. يخفضون ايديهم الى الاسفل عندما يخفي الكاهن يده ويرفعونها عندما يرفع في حركة تتوافق مع انحناء ظهورهم الى الاسفل صوب كبير التماثيل .. تخفض المجموعة الأيدي حتى تلامس الارض ساجدة للتماثيل ومقلدة حركة الكاهن .. على اسفل يمين المسرح واسفل يساره نرى الاول والثاني (بملايس سود) بكامل اسلحتهما وهما في مواجهة جمهور النظارة لا ينتبهان الى الفتى الذي برك مع المجموعة اسفل وسط المسرح ولم يشاركها طقوسها .. يلتفت الكاهن الى الفتى .. يرمقه بنظرة شذراء .. يستدير بكليته .. يضرب الارض بصولجانه فينتبه الاول والثاني .. يتقدمان نحو الفتى .. يمسك كل منهما بذراع من ذراعيه ويجبرانه على السجود واذ يسجد يضعان قدميهما على ظهره ولا يسمحان له بالنهوض .. تكمل المجموعة أداء طقوسها .. ينسحب الاول والثاني الى محلها السابق .. تتسحب المجموعة الى الخارج .. الفتى الذي صار في مؤخرة أحد الرتلين المنسجمين يشير عليه الكاهن بالتوقف فيتوقف .. يتقدم منه الكاهن .. يأمره بالبروك فيأبى .. يضرب الكاهن الارض بطرف صولجانه فيتقدم الاول والثاني ويمسكان به .. يجرانه الى القاعدة السفلى لكبير التماثيل وينسحبان .. ينظر الفتى الى كبير التماثيل والى الكاهن الذي يقف على مقربة منه مؤديا بعض الحركات الطقوسية .. تخفت الاضاءة الفيضية تدريجيا وتسلط الحزم الدائرية الضوء على التماثيل .. موسيقى غرائبية او موسيقى رعب تستمر مع المشهد .. تنفث التماثيل ، من افواهها ، دخانا أو تقذف منها أسنة نار صفراء باتجاه الفتى الذي يتحاشاها ، بسرعة ، ثم يتقيها بالجلوس تحت تمثال كبيرهم .. يلقي نظرة وهو في جلسته الى ما وراء التماثيل .. يبتسم ويسحب باطراف اصابعه اطراف رداء أحمر لرجل يختفي وراء كبير التماثيل .. يكتشف الكاهن أمره خلسة فيغضب ويضرب الارض بصولجانه ، عدة مرات ، فيقوم الاول ، والثاني بمهاجمة الفتى ولكنه يراوغهما بين التماثيل .. وكلما اوشكا ان يمسكاه يهددهما باسقاط احد التماثيل فيبتعدان عنه .. وعندما يقف ، مناورا ، امام كبير التماثيل تمتد اليه ، من خلف التماثيل ، يد تلقي القبض عليه وتسلمه الى الاول والثاني اللذين يقودانه الى وسط الخشبة و يجلسانه بتهديد السلاح ... يظل الفتى في محله لايريم بينما يخرج الاثنان ليعودا وهما يحملان قفصاً مستديرا من الحديد المشبك .. يجلسان داخله الفتى ويغادران .. تطفأ الاضواء الا حزمة رأسية تظل متوهجة على الفتى وهو داخل القفص المشبك المستدير يقوم

بمحاولة التخلص من محبسه دون جدوى واذا يهدد التعب والارهاق يجلس مستكينا على الارض .. تخفت الحزمة تدريجيا وقبل ان يختفي ضوءها كليا يسمع ضربة قوية فيقف منتفضا متحفزا لمواجهة أي عارض طارئ .. ينظر يمينا ويسارا .. خلفا وأماماً ولا يظفر بشئٍ واذا يحاول الجلوس مرة أخرى تنطلق الموسيقى هادرة بقوة وعنف فيعود الى وقفته ثم تبرق الاضواء عدة مرات قبل أن تستقر على الاضاءة الخافته .. تستمر الموسيقى ومن خلال الظلام تظهر اقنعة كبيرة مشعة لوحشين خرافيين وهي تهاجمه مهددة ومنقضة و هو يدافع ، عن نفسه ، ضدها واذا تتسحب و تختفي في عمق الظلام تظهر أيدي و عيون واسلحة تتقدم ، كلها ، نحوه مهاجمة فيدافع ضدها جميعا حتى يأخذ منه التعب كل مأخذ فيسقط متهالكا .. تختفي الأيدي والعيون والاسلحة .. يقفان قرب الفتى فينتبه اليهما .. يتحامل على نفسه .. ينهض واقفا مستعينا بالمشبك المستدير والعطش بادٍ عليه .. يمد الاول يده ليناوله قذح الماء واذا يراها مبتسمان بسخرية منه يسكب الماء في وجهيهما بغضب ونفور .. يقبضان على رقبته ، معا ، ويطبقان عليها حتى ينهار بين أيديهما ويسقط على الارض .. ضربة من الكاهن بصولجانه على الارض قبل ان يدخل الى المسرح تجعل الاول والثاني ينسحبان الى محلهما .. يدخل الكاهن .. يضرب الارض فيهرع الاول والثاني ليجلبا له كرسي العرش .. يجلس عليه .. يقفان الى جانبه .. يصفق بيديه فتدخل المجموعة في رتلين من اليمين واليسار .. تدور حول خشبة المسرح باركة أمام الكاهن / الملك .. يصفق مرة أخرى فتنتطق الموسيقى وتؤدي المجموعة رقصة (الطاعة) تعبيراً عن ولائها للملك / الكاهن وعندما تنتهي الرقصة تنقسم المجموعة الى كتلتين احدهما على اسفل يسار المسرح والاخرى على اسفل يمين المسرح .. يقف الكاهن / الملك ويضرب الارض بصولجانه فيتقدم الاول والثاني كل منهما الى مجموعة الآخر .. يقف الاول امرأة من المجموعة الثانية ويقفاد الثاني رجلا كهلا من المجموعة الاولى .. يدفعاها باتجاه القفص فيسقطان قرب الفتى .. عيونهما تتوسله .. بينما يضع الاول والثاني رمحهما على ظهريهما ويضغطان .. يتألم الرجل الكهل وكذلك المرأة ولا يحرك الفتى ساكنا واذا يهتان بطعنهما طعنه قاتلة يشير لهما بالتوقف فيتوقفان .. ويطلقان سراح الجميع .. يخرج الرجل ذو الملابس الحمر وتابعيه وافراد المجموعة والفتى ووالديه .. تخفت الاضاءة وتسقط الحزم الرأسية على التماثيل الثلاثة .. يدخل الفتى وهو يتأمل التماثيل واحدا واحدا .. يخرج من الجهة التي دخل منها ثم يعود ويبيده فأس كبيرة .. يتقدم من التمثال الاول .. يضربه فيسقط ارضا .. يتقدم من التمثال الثاني يضربه فيسقط ارضا و هكذا يفعل مع التماثيل باستثناء كبيرهم الذي يضع على كتفه الفأس ويغادر متسللا نحو الكواليس .. يفاجأ بدخول الرجل ذي الملابس الحمر وتابعيه فيترجع امامها .. يشير التابعان سلاحهما في وجهه فيشير الى كبير التماثيل .. يتحرك ذو الملابس الحمر الى كبير التماثيل .. يلتقط الفأس من على كتفه .. ينظر اليها بامعان ثم ينظر الى الفتى وهو يتقدم

نحوه .. يمسك التابعان الفتى واذا يقف الرجل على مقربة منه يرفع الفأس في حركة عنيفة ينزله على رأس الفتى لكنه يتوقف في اللحظة الأخيرة .. يتراجع .. يقذف بالفأس الى ما وراء الكواليس .. يستدير الى كبير التماثيل .. يركع له مؤديا بعض الحركات الكهنوتية .. يقف .. يلتفت الى الفتى .. ينظر اليه بعينين يتطاير الشرر منهما .. يرفس الارض بقدمه بقوة وغضب .. ينقض الاثنان على الفتى بضربة مشتركة تسقطه ارضا .. يخرجان .. يعودان وهما يحملان كرسي العرش .. يجلس ذو الملابس الحمر عليه وهو يمسك بالصولجان .. يشير يسارا ويمينا فتبدأ المجموعة بالدخول الى المسرح .. التابعان يربطان الفتى بواسطة حبلين كل حبل بذراع .. يمسكان طرفي الحبلين السائبين ويشدان كل الى جهته .. ينهض الفتى .. يقف على قدميه .. التابعان يسحبان بقوة حتى لايتركان مجالا لحركة الفتى .. يشير الكاهن /الملك على اثنين من افراد المجموعة فيخرجان . ثم يعودان وهما يحملان وعائيين مليئين بالجمر .. يفرشان الجمر امام الفتى ويبدأ التابعان بسحبه نحو الجمر .. يسير الفتى غير آبه .. يتوقف فوق الجمر المتقد .. يعتصر نفسه بقوة .. يغمض عينيه .. يعض على شفته ثم يفتح عينيه ويشنح عضلات وجهه تعبيرا عن ارادة التحدي مما يغضب الكاهن /الملك ويشير على المجموعة فتتحرك في رتلين يخرجان الى ماوراء الكواليس ويعودان ليقذف كل منهم بجمره على الفتى .. يغطي الجمر الفتى حتى منتصفه .. يكتوي جلده وتفوح رائحة شوائه .. يترك الكاهن / الملك كرسيه ويقف أمام الفتى ويمد الصولجان باتجاهه ليتمكنه من طلب المغفرة لكن الفتى يكتفي بالنظر اليه ، أول الأمر ، ثم يوجه له بصفة قوية تتوقف الحركة عندها على خشبة المسرح ويسدل الستار .

بعقوبة 1999

تجليات في ملكوت الموسيقى

شخص المسرحية

الرجل العجوز - المرأة الأم

الطفل - والد الطفل

الأمير - ضيوف الأمير

عدد من الجنود بالزي الحربي النمساوي

عدد من الجنود بالزي الحربي الفرنسي

عدد من الأشباح

نشرت في مجلة أسفار الصادرة عن الاتحاد العام للأدباء و الكتاب في العراق العدد (23) لعام
2001

يرفع الستار عن الخشبة .. حزمة ضوء صغيرة على رجل عجوز يجلس وسط الظلام امام آلة البيان كمن ينتظر وقوع المفاجأة بين فينه وأخرى .. آلة البيان وقطع الديكور الأخرى كلها موضوعة ضمن دائرة مرسومة بخط واضح على الخشبة مما يدل على ان الأحداث المقبلة كلها ستقع ضمن هذه الدائرة .. ينهض الرجل العجوز .. يخطو بضع خطوات جيئة وذهابا .. يتابعه (الفلو) الضوء المتحرك .. يجلس ثانية .. يرخي السمع لفترة وجيزة .. يفاجئه صراخ طفل ولد توا فيقف مندهشا .. يتردد صدى نواقيس الفرحة في ارجاء المسرح .. يؤدي الرجل العجوز بعض الحركات الراقصة ، لإراديا ، تتساقق مع توهج المصابيح الملونة على الخشبة وامتلاء الدائرة بالاضاءة الفيضية وانطلاق موسيقى نشيد الفرحة من السيمفونية التاسعة لبيتهوفن .. تتوقف الموسيقى .. تدخل من اعلى وسط المسرح امرأة تحمل طفلا مدثرا باغطية بيضاء .. تقف على وسط الوسط .. يتقدم الجد (الرجل العجوز) ليأخذ منها وليدها .. يتأمله .. يطبع قبلة حنون على جبينه ثم يأخذه بفرحة غامرة الى آلة البيان .. يدور به ، حولها ، بطقوسية خاصة .. يجلس .. يعزف لحنا راقصا .. يستدير الى والدة الطفل .. يراها ترتجف .. يسلمها الطفل ويخرج .. يعود بقطع من الخشب يلقيها للنار واذا ينتهي يقف خلف المرأة والطفل .. يتأملهما .. يتسمع وقع خطوات مضطربة .. يدخل الى المسرح رجل ثمل .. يقترب من الطفل .. ينظر اليه .. ترتسم على وجهه ملامح الفرحة والحبور يسرع الى الجد يجره الى آلة البيان ويجلسه أمامها فيبدأ الجد بالعزف السريع بينما يأخذ الرجل الثمل بالرقص فرحا مختالا متمايلا حتى يسقط ارضا من الاعياء والتعب .. تضع المرأة وليدها في سريرها ، وتدرجيا تختفي الاضواء أو يسدل الستار .

*

يرفع الستار .. حزمة ضوء على وسط المسرح تظهر المرأة / ألام وهي تلبس ابناها ، الذي صار في السادسة من عمره ، الملابس التي يرتديها ، عادة رواد الموسيقى ..تضع الباروكة على رأسه .. تتناول سلة التبضع وتخرج مودعة الصبي بإشارة وابتسامة .. يتبعها الصبي .. يقف عند حافة الدائرة قريبا من الكواليس .. يتطلع في إثرها واذا يطمئن لابتعادها يعود بخفة ونزق ليجلس امام البيان .. يعزف الحانا خاصة به .. يتوقف عن العزف فجأة إذ يسمع وقع خطوات تقترب .. يرجع الكمان الى محله .. ينظر باتجاه الصوت ثم يهرع الى فراشه يمتد عليه مغطيا نفسه ومتصنعا النوم العميق .. يدخل الأب ، وهو الثمل نفسه في المشهد السابق ، ينظر الى آلة البيان ثم الى الكمان ثم السرير .. يلتقط عصا المايسترو من على البيان .. يقترب من السرير .. يزيل الغطاء من على الصبي بطرف العصا .. يشير بطرف العصا .. يشير عليه بالنهوض .. ينهض .. يشير له بالذهاب الى البيان .. يذهب مترددا خائفا يبدأ العزف بإشارة من عصا أبيه وإشارة منها يتوقف الأب عن العزف ثم يبدأ ثانية وثانية يوقفه .. يعزف مرة ثالثة ..

تبدو على الأب إمارات الراحة فيخرج مغادرا .. يختفي وراء الكواليس .. يطل برأسه ليتأكد من سلامة سلوك الصبي .. ينسحب .. يذهب الصبي في إثره .. يطمئن لابتعاده فيعود الى آلة الكمان يعزف عليها لحنه السابق نفسه .. تداهمه الأم ، هذه المرة ، فيضع الكمان في موضعه بارتباك .. وبارتباك يتناول كتبه المدرسية .. تتحنى الأم عليه طابعا قبلة على جبينه .. يغادر مهرولا الى خارج المسرح .. تسير الأم في اثره .. تتوقف .. ترفع يدها مودعة .. تختفي وراء الكواليس .. تطفأ الاضواء تدريجيا وحزمتان من الإضاءة فقط تظلان على توهجهما لفترة على آلة البيان وسرير الطفل ثم تختفيان تدريجيا أيضا .

*

تفتح الاضواء تدريجيا .. الأم في وسط المسرح جالسة أمام آلة البيان تحيك قفازا لولدها .. تسمع صوت خطوات مضطربة .. يدخل الأب ثملا كعادته وباطن جيوبه مسحوبة خارج بنطاله .. يقف الى جانبها .. يمسكها من ذراعها وينهضها بعنف وقوة يدفعها بعيدا عنه .. يجلس في محلها .. يضرب آلة البيان بعصبية .. تتقدم منه .. تقبض على يديه .. تمنعه من تكرار الضرب العنيف لكي لا يوقظ الصبي .. ينتبه .. يلتفت الى سرير ابنه .. يتناول عصا المايسترو ويذهب الى السرير .. تقف الأم في طريقه محاولة منعه من الوصول الى ابنهما .. يدفعها فتتحى جانبا .. يقف لصق السرير وبالعصا يزبح الغطاء من على ابنه ويأمره بالنهوض .. يتردد الصبي فيجره عنوة الى آلة البيان .. يبدأ بالعزف .. يوقفه بإشارة من عصاه بعصبية وانفعال يضربه على اصابعه ويأمره بالعزف ثانية .. يعزف لحنا نشازا أيضا بينما الدموع تترقع من عينيه .. يضربه ثانية وثالثة واذ يعزف عزفا سليما ينبهر الأب ويؤدي بعض الحركات النزقة من خلف ظهر الصبي .. يتوقف لحظة .. ينظر الى ولده بإعجاب .. يمسك باطن جيوبه ويرجعها الى الداخل بزهو .. يضرب على كتفي الصبي فيتوقف الصبي عن العزف .. ينهض .. يذهب الى سريرته بأمر من أبيه يتمدد عليه .. يغطي نفسه والدموع ما تزال تترقق من عينيه .. يخرج الأب وتطفأ الاضواء تدريجيا إلا حزمة الضوء التي تضئ سرير الصبي .. سوناتا (في ضوء القمر) بأجوائها الهادئة تستمر فترة قبل ان تدق نواقيس الكنيسة دقائق استغاثة مزوجة بالصرخات البشرية المفزوعة واصوات تهدم الجدران أو سقوط السقوف وفرقعات النيران .. ينهض الصبي وتدخل المرأة مهرولة مفزوعة تأخذ الصبي الى النافذة وترى الى خارجها . وهج نيران الحرائق تسطع على الخشبة وعلى وجهي الصبي وأمه .. تزداد الاصوات والفرقعات .. يتحركان باضطراب وخوف ورعب .. يزداد وهج النيران .. على منطقة خيال الظل يتسارع الناس نحو الحريق وهم يحملون أوعية الماء .. يحاربون النار .. ينسحبون امامها .. تستمر اجراس برج الكنيسة برهه قبل ان تتمكن منها السنة النيران وتسكتها نهائيا .. واذ يسقط البرج تخمد الحركة تماما .. الصبي ينظر صوب المكان البرج والاجراس بمرارة وألم وحزن دفين .. يبدو وهو

ينظر الى هناك مع أمه مثل تمثال عملاق نصب على خرائب واطلال .. يتحرك الصبي حركة تصاحبها (سوناتا في ضوء القمر) يدور حول محيط الدائرة مفكراً .. يتوقف عند آلة البيان .. يواصل الدوران .. يتوقف قرب سريره .. يلتقط آلة الكمان ويعزف عليها لحنا هو اقرب الى التنويمية منه الى أي شئ آخر .. يترك الآلة غير راضٍ عن اللحن ويتوجه الى آلة البيان مرة أخرى .. يضرب عليها ضربات تشبه ضربات الاجراس المستغيثة ثم يسترسل مع اللحن فترة قبل أن يتوقف ويستدير نحو خيال الظل الذي ظهرت عليه الفرقة الاوركسترا ليه .. يقف .. يتناول عصا المايسترو .. يعطي الاشارة للفرقة فتبدأ بالعزف فترة قبل أن يحس بضيق جراء الباروكة على فروة رأسه فيرفعها بعفوية وبراعة ويحك رأسه بأطراف أصابعه التي حشرها تحت الباروكة .. تتوقف الفرقة عن العزف .. وتتعالى أصوات الضحكات .. يعود للعزف دون ان يفكر بالاعتذار يلتفت عدة مرات الى الفرقة التي لم تعد تشاركه العزف فيضرب على البيان بقوة محدثاً صوتاً حاداً ويقف غاضباً منفعلاً .. تختفي الفرقة من على خيال الظل .. يذهب ، متصايقا الى سريره .. يدخل الأب ويقاطعه في منتصف الطريق بين البيان والسرير .. يحشر يده في جيوبه ويسحب بطانتها الى خارج بنطاله بعصبية وهو يتقدم من الصبي بانفعال وغضب .. يتراجع الصبي امامه .. يعود الى آلة البيان .. يجلس .. يلتقط الأب عصا المايسترو .. يرفعها الى الاعلى ومع ارتفاعها تتوقف الحركة على المسرح بينما تنطلق كونسرتو البيان الاول لبتهوفن فترة وجيزة قبل أن تطفأ الاضاءة تدريجياً على خشبة المسرح .

*

قبل أن تتوهج الاضاءة تدريجياً ، على المسرح نسمع صوت قاطرة بدأت تتحرك منطلقة مندفعة نحو هدفها .. تضاء الخشبة فنرى الصبي نفسه جالساً في المكان نفسه وقد تقدم به العمر حتى بلغ الخامسة و العشرين وقد أزيلت الدائرة المرسومة على الخشبة و اختفت بعض قطع الديكور و حلت محلها قطع أخرى من الآثاث الفخم الرئاسي .. يدخل عدد من الضيوف بهندام بالغة الاناقة يوحي مرآهم بانتمائهم الارستوقراطي .. يترك الشاب محله و يقف الى جوار مجموعة من المدعوين واذ يكتمل عدد الضيوف يزق صوت البوق معلناً عن وصول الأمير .. ينقسم الضيوف الى كتلتين إحداهما على يسار المسرح و الأخرى على يمينه وعند ظهور الأمير من اعلى وسط المسرح تتحني المجموعتان ويمر الأمير بينهما بمرونة و رشاقة .. يشير لهم برفع رؤوسهم وشرب انخابهم .. يجلس فيجلسون .. يتبادلون النظر بعضهم مع بعض .. ثم ينظرون جميعاً الى الشاب الذي تتحى بعيداً ليجلس على أريكة معزولة منفردة غير مبال بنظراتهم .. يخطو بضع خطوات صوب الشاب .. يمد له يده .. ينهضه ويأخذه باحترام جم الى آلة البيان وسط تعجب الضيوف من تواضع أميرهم أمام شخصية الشاب .. يعود الأمير الى محله .. يجلس فيجلس الجميع .. يرفع الشاب يده الى الاعلى فتتوقف حركة الضيوف .. يبدأ

الشباب مع الفرقة الاوركستراية عزف كونشرتو (الامبراطور) فترة قبل أن نسمع اصوات القذائف التي أخذت تتداخل مع مثلتها في الموسيقى وهي تقترب بدويها الهائل من المكان شيئاً فشيئاً .. يصاب الضيوف بالفزع و يتحركون باضطراب هنا وهناك .. يظلم المسرح عدة مرات خلال دوي القذائف وانفلاقها ويخرج البعض منه مهرولاً .. يقتحم المكان عدد من الجنود بالزي الحربي الفرنسي .. ينتشرون على الخشبة وهم يرفسون بعض قطع الديكور .. يفتشون هنا وهناك .. يجدون بعض الاشخاص المختبئين .. يخرجونهم من مخابئهم بالركلات .. يوقفونهم صفاً واحداً في مواجهة جمهور النظارة ويفتحون عليهم النيران .. يجلس الجنود الى الموائد التي كانت معدة لضيوف الامير يهم .. بعضهم بالعزف على البيان باستهتار .. بعضهم يرقص بنزق بينما يقوم بعضهم الآخر بحركات ماجنة وهم يرفعون بعض الاكسسوارات النسوية التي تركت على الموائد واذ يبدو عليهم التعب و الارهاق واضحاً .. يلقون بأنفسهم للنوم على أي شيء .. تخفت الاضواء قليلا ويسود المسرح الهدوء ثم وكالصاعقة ينقض عليهم عدد من الرجال ، بالزي الحربي النمساوي ، يباغتونهم ويفتحون النيران عليهم فيردونهم قتلى ومع مارش الحداد الجنائزي من الحركة الثانية للسيمفونية الثالثة ، يجرون جثثهم الى خارج المسرح و كذلك معداتهم العسكرية.. تطفأ الأضواء .

*

نسمع ، من خلال الظلام ، صوت تصفيق حاد لجمهور متحمس .. حزمة ضوء دائرية رأسية تتوهج على الشاب وهو يقف على دكة دائرية في وسط الوسط مرتدياً ملابسها نفسها (ملابس المايسترو) ورافعا يده الى الاعلى ليعطي الاشارة للفرقة السيمفونية ببدء العزف .. تبدأ الفرقة عزف سيمفونية بنهوفن الثالثة (البطل) .. يستمر العزف على الخشبة .. يظهر خلف الفرقة خيال شبح يهيمن على خلفية المسرح بحركاته الشيطانية .. ينسحب ليظهر مرة ثانية ، يتوقف الشاب عن قيادة الفرقة اذ يختلط مع الموسيقى صوت صغير حاد أو أزيز قوي ثم يستأنف عمله بدقة .. يدخل الشبح من يمين المسرح دون أن يلفت انتباه أحد .. واذ يمر بالشباب (المايسترو) يتوقف الشاب عن القيادة .. يضغط براحتيه على أذنيه معتصراً نفسه من الألم بينما يأخذ الصفير أو الأزيز بالارتفاع اكثر فاكثر . واذ يغادر الشبح من يسار المسرح ينقطع الأزيز أو الصفير ويرفع الشاب راحتيه من على اذنيه و يبدأ القيادة مرة أخرى .. تطفأ الاضواء على الفرقة .. وحده الشاب يظل ضمن حزمة الضوء الدائرية .. يدخل الشبح من يسار المسرح فيبدأ الصفير أو الأزيز بالارتفاع ثانية وثالثة ورابعة .. يضع الشاب راحتيه على اذنيه ويضغط عليهما وهو يتلوى من الألم .. يدور الشبح حول الشاب .. يؤدي حركات شيطانية ثم يخرج من يمين المسرح .. ينهار الشاب يللمم بعضه ويرققص على نفسه متهاكاً غير مصدق ما حدث له .. ينهض .. يلتفت الى آلة البيان .. يقترب منها .. يضربها بإحدى يديه بينما يضع الأخرى على

اذنه .. يتسمع صوت البيان .. لا يعطي رد فعل السماع .. يضرب بقوة اكثر ولا يسمع .. يضرب اقوى ولا يسمع .. يقف مستقرا خائفا غاضبا يتحرك هنا وهناك بعصبية وهستيريا .. يجلس .. يقف .. يقترب من البيان .. ينظر اليه .. يضع رأسه على حافته ويبيكي .. يسمع صوت نقرات لطائر نقار الخشب .. ينتبه .. يضع يده على اذنه .. تستمر النقرات .. يبتسم ابتسامة غير أكيدة .. يقترب من الكواليس .. تستمر النقرات .. يقلدها بحركة من أصابعه وكأنه يعزفها على البيان .. يتوقف النقر .. يقترب من البيان .. يعزف مقلدا النقرات وهي نفس النغمات الاربع التي تبدأ بها الحركة الاولى من سيمفونية بتهوفن (القدر) .. يتوقف عن العزف .. يتناول مجموعة اوراق ويكتب عليها نوتات سيمفونيته الجديدة .. يظهر الشبح على منطقة خيال الظل .. يتوقف عن الكتابة .. يتحرك الشبح حركات شيطانية بينما يتلوى الشاب قليلا ثم يقاوم .. يقاوم بشدة .. يتمكن من السيطرة على نفسه .. يعود الى اوراقه .. يستأنف الكتابة .. يتوقف .. يتسمع صوت اللحن الذي دونه معزوبا من قبل فرقة سيمفونية .. يشتد العزف في ذهنه اكثر فاكثر في ضربات متتالية وشديدة .. يتلوى الشبح كما كان الشاب يتلوى من قبل .. يعتصر نفسه وينهار .. يقفز الشاب بفرح غامر ويتوجه الى البيان .. يتناول عصا المايسترو وينتقل الى الدكة الدائرية التي في وسط المسرح .. يرفع يده كأشارة لبدء العزف .. تعزف الفرقة في منطقة خيال الظل قدرية بتهوفن الخامسة .. وعندما يهدأ العزف ينهض الشبح يهرب نحو الكواليس ليعود ثانيا مع شبحين آخرين يشبهانه تماما .. يدورون حول الشاب .. يؤدون رقصة (القدر والمداهمة) فيتوقف الشاب عن القيادة .. يضغط اذنيه براحتيه ويتلوى .. يقاوم .. يقاوم اكثر من المرات السابقة .. يسيطر على آلامه .. يقطع الاشباح الثلاثة رقصتهم .. ينظرون الى الشاب بتعجب واستغراب وهو مستمر بقيادة الفرقة بضربات شديدة وعنيفة .. يبدأون بالتلوي والتمايل .. يتساقطون الواحد إثر الآخر .. يزحفون هاربين الى خارج المسرح .. يستمر العزف بضع لحظات يشعر خلالها الشاب بالنصر والزهو .. يعطي الاشارة بالتوقف .. تتوقف الموسيقى .. يستدير نحو جمهور النظارة .. ينحني لهم باعتماد .. تنطلق اصوات التصفيق الحاد بينما تسدل الستارة عليه مرتين.

بعقوبة 2000

حجر من سجل

الشخص

1. الرجل ذو الكوفية و العقال . 2. إمرأته . 3. إبنه .
4. الرجل المتوّج بالغار . 5. مجموعة من المسلحين . 6. امرأة عجوز . 7. رجل ذو عين واحدة .
8. مجموعة من الرجال المسنين والأطفال .

نشرت في صحيفة العرب العالمية في لندن العدد الصادر في 2002/7/23 .

تطفأ الأضواء .. نسمع من خلال الظلام عزفاً على الناي .. تظهر على الخلفية (السايك) صورة هلال بحجمه الطبيعي.. تصاحب موسيقى الناي ضربات خفيفة على الطبل الكبير ، ومع كلّ ضربة ، تكبر صورة الهلال حتى تغطي الخلفية كلها .. تتطلق ضربات الطبول الصغيرة بمارش ، كلما اشتدّ إيقاعه تراجعت صورة الهلال إلى الخلف حتى تستقر على حجمها الأول.. ضربة صنج .. تتوقف الطبول وتظهر على مسافات قريبة من الهلال ثلاثة نجومات سداسية الرؤوس.. تتفلق النجمات السداسية مولدة ، حولها ، عشرات النجوم .. تحيط بالهلال .. تطوّقه .. تتحرك حركات اهتزازية مريية .. تنقض مهاجمة إياه هجوماً شرساً .. تختفي الأضواء و النجوم تدريجياً وعلو صوت الناي ، مرة أخرى ، فيشع الهلال بوجهه المثلوم من خلال الظلام وهو يقطر دماً.. تتوهج الإضاءة الفيضية الخافتة تدريجياً فنرى رجلاً ، يعتمر كوفية وعقالاً ، وامرأته وطفلها راibusين تحت هيكل يبدو لجمهور النظارة مثل صليب تدلى منه وشاح على هيئة مدينة مدمّاة .. ضربة صنج .. يفزّ الرجل وامرأته .. يلتفتان إلى الخلف .. يستديران.. يبصران صفاً من النجوم السداسية يتقدم نحوهما . يتبعه صف آخر و آخر .. يتناولان الوشاح الذي على هيئة مدينة مدمّاة.. يلتئمان به رأس صغيرهما فلا يظهر من رأسه غير عينيه .. صفوف النجوم تتكاثر وهي تتقدم نحوهم على هدي طبول الحرب و الصنوج .. تزدحم الخلفية بالنجوم .. تتوقف حركة الزحف فترة وجيزة قبل ان تطلق عيارات نارية من كل حذب و صوب نحو الرجل وامرأته وكأن النجوم هي التي تطلق النار عليهما .. يحميان طفلهما بجسديهما .. يصابان بعدد من العيارات لكنهما يظلان على وقفتهما حتى يتمكن منهما الرصاص فينتشبتان بعمود الهيكل لفترة قبل أن تطفأ الأضواء ويسود الظلام.

*

يضاء المسرح .. يعلو صوت الناي .. نرى غرفة مؤثثة على الطراز العربي الفلسطيني.. دلال للقهوة موضوعة على منضدة مستديرة في وسط الغرفة .. على الجدار الخلفي علقت صورة كبيرة لبيت المقدس .. في أعلى يسار الخشبة علقت ، على حاملة الملابس ، بعض الأزياء الشعبية .. مقاعد تراثية مستديرة رصفت على جانبي الغرفة .. وفي أعلى الوسط ، تحت اللوحة مباشرة ، وضع مقعد مستدير ، أيضاً ، ولكنه أضخم ، قليلاً ، من بقية المقاعد .. تقطع صوت الناي ضربات سريعة للطبول الصغيرة . يفتح الغرفة مسلحون على ظهورهم وصدورهم يحملون ، شعار ، النجمة السداسية .. ينتشرون ، بسرعة في أركانها .. يطلقون النار ، من رشاشاتهم الأوتوماتيكية ، على كل شيء داخل الغرفة .. يمزق وابل الرصاص الأزياء الشعبية كلها .. تسقط دلال القهوة متدرجة على الأرض .. وكذلك المقاعد.. يطلقون صوب اللوحة باستهتار كبير .. يتقبها الرصاص فتسقط أرضاً .. يستمرون بإطلاق النار لفترة وجيزة نحو كل الأشياء ثم يتوقفون .. ينظرون إلى الأجزاء المخربة بزهو .. يفزهم صوت بكاء طفل

رضيع من خلف الكواليس . يستديرون جهة الصوت .. يوجهون بنادقهم نحوه ويطلقون بكثافة نارية شديدة.. يتوقفون.. يتسمعون مرتابين .. ينطلق صوت الطفل مرة أخرى ، ومرة أخرى يفتحون نيران بنادقهم صوبه.. يتوقف صوت البكاء.. يعلقون بنادقهم على أكتافهم ويتقدمون بحذر نحو الطفل .. يفززههم صوت بكائه ، أيضاً ، فيتراجعون خطوة إلى الوراء .. يتقدم أحدهم إلى ما وراء الكواليس .. يختفي لحظة ثم يظهر وعلى يديه الطفل الرضيع .. يقف على وسط الخشبة .. يحيط به الآخرون .. يضع كل منهم بندقيته على الأرض أمام قدميه .. يرفع الأول الطفل إلى الأعلى بحركة استعراضية ، فيبدأون بالتصفيق البطيء الموقّع.. يخفض ذراعيه ، فيتوقفون عن التصفيق .. تتصاعد تدريجياً أصوات ولولة وانين .. وإذ تبلغ أشدها يقذف الأول الطفل إلى الثاني فيتلقفه بفرح شيطاني غامر ثم يقذف به إلى الثالث و الثالث إلى الرابع ، والطفل يصرخ وهم يقهقهون ويقهقهون .. وإذ تخفت صرخاته تدريجياً يتقاذفونه بسرعة جنونية من واحد إلى آخر حتى يموت بين يدي أحدهم .. تتجه الأنظار نحو الذي مات الطفل بين يديه .. يقتربون منه.. يركعون له .. ينهض اثنان منهم .. الأول يجلب من وراء الكواليس إكليل غار على طبق ذهبي .. الثاني يرفع إكليل الغار ويضعه على رأس الرجل الذي مازال محتفظاً بالطفل .. يجلب اثنان منهم ، وبسرعة قدراً كبيرة يضعانها على ركيزة ويوقدان تحتها ناراً .. آخران يجلبان عقب شجرة مقطوعة كتلك التي استخدمها الجزائريون لتقطيع اللحم .. يقف الجميع على جانبي الغرفة .. يضع الرجل المتوج بالغار الطفل على عقب الشجرة .. ومع ارتفاع الموسيقى وهممة المسلحين يرفع ساطوره إلى الأعلى ويهوي به على جثة الطفل بجنون هستيري .. تتدفق الدماء من الطفل .. يضيّقون دائرتهم حوله ليتسنى لهم تلطيخ أيديهم بالدم .. يجمعون أشلاء الطفل ، وبحركة موحدة يضعونها في القدر .. تستمر الهمهمات ويستمر المتوج بالغار بتحريك يديه حركات طقوسية تشبه إلى حد ما حركات السحرة و المشعوذين الأشرار فترة وجيزة .. ثم يتناول قدحاً يغرف بوساطتها حساءً من القدر ويرتشف قليلاً منه .. يناوله للمسلح الذي يقف إلى جواره فيرتشف منه وبدوره يسلمه إلى الآخر ، و الآخر إلى الآخر حتى يشرب الكل من حساء الطفل المقطع الأوصال .. يرفعون بنادقهم من على الأرض .. يقتربون من الرجل المتوج بالغار .. يرفعونه على أكتافهم ويطلقون النار من بنادقهم وهم يغادرون المسرح باستهتار .. يخرج الولد المثلث من وراء ستار وسطي خفي .. تتركز الإضاءة على وجهه بينما تخفت على أرجاء المسرح شيئاً فشيئاً .. يطلّ وجهه مشعاً في الظلام لفترة ما قبل أن تطفأ الأضواء .

*

تفتح الأضواء .. الرجل المتوج بالغار جالس على عرشه تحيط به الحاشية .. عدد من الرجال تتوسطهم امرأة عجوز ورجل بعين واحدة .. يصفق الرجل المتوج فيدخل اثنان من اتباعه أو خدمه أحدهما يحمل قدراً ، هي القدر نفسها ، التي شرب منها المسلحون ، ويحمل الآخر

أقداحاً يوزعها على أفراد الحاشية .. يمرر الأول القدرَ عليهم فيغرفون منها وينتظرون إشارة الرجل المتوجّج .. ينسحب الرجلان إلى خارج المسرح .. يرفع الرجل المتوجّج نخبه إلى الأعلى فتفعل الحاشية مثله تماماً.. يشرب المتوجّج .. فيشربون .. يمتعضون .. يتجشأون .. وبالرغم من هذا كله ، يشربون .. يبتسم الرجل المتوجّج .. يبتسمون .. يرفع الرجل كأسه ثانية فيرفعون كؤوسهم أيضاً.. تُضرب الكأس التي بيد الرجل المتوجّج بحجارة صغيرة فتتكسر وينسكب ما بداخلها على ملابسه .. يقف غاضباً .. تقف الحاشية أيضاً .. يجلس .. يجلسون .. يبتسم .. يتصنع اللامبالاة .. يصفق ثلاثاً فتعزف الموسيقى وتدخل الراقصات إلى الخشبة ليرقصن رقصة (الموت و الاحتلال) .. يسقط حجر صغير آخر أمام الرجل المتوجّج .. فتتوقف الحركة .. يتلقّت المتوجّج يساراً ويميناً باستغراب .. يقف .. تقف إلى جانبه المرأة العجوز و الرجل ذو العين الواحدة .. تهّم الحاشية بالوقوف أيضاً لكنه يمنعها بإشارة منه .. تنهال عليهم الحجارة من كل حذب وصوب .. يصابون بالذعر .. تحاول الراقصات حماية أنفسهن وكذلك أفراد الحاشية .. يتناول الرجل المتوجّج و الرجل ذو العين الواحدة و العجوز بنادق آلية ويطلقون النار على كل الجهات حتى يتوقف الحجر عن السقوط .. يعودون إلى جلستهم وتعاود الراقصات هزّ الأرداف و البطون ، وقبل ان يكملن رقصتهن يسقط حجر آخر كبير الحجم فتتوقف الراقصات .. وابل من الحجارة تسقط عليهن فيهرعن إلى خارج المسرح .. يتناول الرجل المتوجّج و الرجل ذو العين الواحدة و المرأة العجوز بنادق يرمون منها ناراً نحو الجهة التي قدم منها الحجر .. يتوقفون .. يقتربون من بعضهم .. يصوبون بنادقهم نحو السماء ويطلقون في آن .. فترة سكون .. يفزّزهم صوت ارتطام حجر كبير بأرضية البلاط .. ينظرون إلى الحجر .. يقتربون منه.. يلنقطه الرجل المتوجّج .. يدقق النظر فيه .. يفكر .. تظهر ، على السايك صورة ضوئية للطفل وهو ما يزال مرتدياً اللثام نفسه الذي كان معلقاً على الهيكل الذي يشبه الصليب في المشهد الأول .. يصرخ الثلاثة في آن واحد .. وبحركة موحدة يستديرون نحو الصورة و يطلقون النار عليها بجنون .. يستمرون في الإطلاق بينما تختفي الأضواء تدريجياً ويظلم المسرح.

*

يستمر إطلاق الرصاص ، الذي يختلط بأصوات العجلات المسرّفة و الجرّافات .. تفتح الأضواء فنرى مجموعة من المسلحين الحاملين على ظهورهم وصدورهم نجمات سداسية وهم يسوقون مجموعة من الرجال و النساء و الأطفال بالركل و الضرب بأعقاب البنادق .. تطرح بعض النساء أرضاً .. يدمى بعض الرجال .. يبكي الأطفال .. المسلحون ، وحدهم يقهقهون .. أو يضغطون على أسنانهم .. يختار أحد المسلحين رجلاً كبيراً من المجموعة .. يبعده عن أقرانه .. يأمره بالركوع لكنه لا يمتثل .. يصوب بندقيته إلى رأس الرجل الكبير ويطلق النار عليه باستهتار فيرديه قتيلاً .. يختار رجلاً آخر .. يبعده عن المجموعة .. يأمره بالركوع فلا يمتثل ..

يمسكه من شعره .. يجبره على الركوع وهو يقاوم .. يطرحه أرضاً .. يركله عدة ركلات فيتدحرج على الأرض متألماً .. يساعده على الوقوف .. يقف .. يأمره بالركوع فلا يمثل .. يصوب بندقيته إلى رأسه .. وقبل أن يطلق النار عليه تطيح به رصاصة موجهة إليه من خارج الكواليس .. يتقشى الذعر بين بقية المسلحين .. يتحركون إلى كل الجهات باضطراب .. يباغتهم الطفل المثلث الذي صار الآن صبيّاً يافعاً .. يفتح النار عليهم بسرعة ومرونة و إتقان غير متوقع فيرديهم قتلى في الحال .. يحرر المجموعة من قيودهم بخفة وسرعة وينطلق باتجاه معاكس لاتجاه خروجهم من المسرح .. يحملون رجلهم القليل على الأكتاف وهم يسرون سيراً جنائزياً على هدى إيقاع المارش الجنائزي بينما تختفي الأضواء باختفائهم من على خشبة تدريجياً.

*

نسمع من خلال الظلام صوت العجلات المسرعة وناقلات الأشخاص و الجرافات .. ونرى على (السايك) فيلماً وثائقياً تظهر فيه الدبابات وهي تطوق المدينة ، وتفتح نيران مدفعيتها على البيوت مثيرة الذعر .. تتقدم الجرافات لإكمال ما بدأت به الدبابات من خراب .. ثم يخرج المسلحون من ناقلاتهم للانقضاض على كل هدف متحرك .. يظهر على خشبة المسرح واحد من المسلحين الذين يحملون النجوم السداسية .. يتبعه آخر و آخر و آخر وهم جميعاً في وضع تأهب للانقضاض على أهدافهم .. يظهر من الجهة الأخرى الصبي المثلث وقد صار شاباً سريع الحركة قوي البدن يتبعه عدد من الشبان المثلثين وهم يحملون الحجارة .. المسلحون يهددون الشبان ببنادقهم .. يتقدمون نحوهم فيتراجعون قليلاً ثم يهددون ، بدورهم ، المسلحين فيتراجعون أمامهم في حركات إيقاعية تؤدى بطريقة (الرقص الدرامي) .. تتكرر العملية عدة مرات قبل أن يفتح المسلحون النار على الشبان الذين انبطحوا أرضاً في محاولة لتفادي الرصاص .. تدخل مجموعة أخرى من الشبان .. ترجم بوابل من الحجارة المسلحين فيتراجعون خطوة خطوة .. ينهض الشاب المثلث .. يلاحق المسلحين حتى يختفي وراء الكواليس .. يحمل الشبان جرحاهم ويخرجون فتختفي الأضواء تدريجياً.

*

تدريجياً تفتح الأضواء على الخشبة فنرى هيكلأ ضخماً يمثل بناية على هيئة نجمة سداسية كبيرة جداً .. في أعلى الهيكل ترتفع نجمة سداسية صغيرة .. يحيط بالبناية سياج حديدي مشبك .. عدد من المسلحين يحرسون المبنى .. حراس يتجولون في مناوبة ، فوق البناية .. آخرون اسفل البناية .. حراس في كل مكان .. داخل الهيكل وخارجه .. الرجل المتوج بالغار يظهر جالساً ومن حوله اتباعه .. بعضهم بالزي العسكري و البعض الآخر بالزي الكهنوتي .. الإضاءة داخل البناية السداسية ما تزال خافتة إلى حد عدم قدرة المشاهد على تحديد معنى للحركات و الإيماءات التي يقومون بها داخل المبنى .. يدخل إلى المسرح من اسفل اليسار

الشاب المثلث بكامل عدته الحربية .. يراقب حركة المسلحين .. راصداً ، بنظرة بانورامية حركة كل واحد منهم .. يتقدم بضع خطوات .. يجلس باركاً .. ينبطح على الأرض إذ يحس بوقع أقدام تقترب منه .. يزحف قليلاً .. يبتعد الصوت .. ينزع الحقيبة التي على ظهره.. يخرج منها زمزمية ماء .. يشرب ثم يعيدها إلى الحقيبة .. يقف حال سماعه صوت أقدام تقترب .. يختفي خلف شجرة زيتون .. تمرّ بالقرب منه مجموعة من المسلحين يسرون بألية ورتابة نحو المبنى السداسي .. يخرج عدته بسرعة يضم بعضها إلى بعض .. تصدر عن عمله بعض الأصوات التي ينتبه لها المسلحون فيستديرون ، بسرعة نحو جهة الصوت ، يتأهبون للانقضاض عليه وإذ يقتربون يبتعد عنهم متوارياً خلف الأشجار و الحشائش .. يخطو خطوة صوب المبنى ثم يهرول نحوه باندفاع كبير .. يجتاز بمرونة القط وخفته سوره الحديدي المشبك.. يدور حول المبنى ويظهر من الجهة الثانية وقد تخلص من عدته كلها .. يطارده الحراس خارج السور .. يستدّون عليه منافذ الهرب .. يقف .. يلقون القبض عليه .. يوجهون بنادقهم إلى رأسه وقبل أن يطلقوا النار عليه يدوي صوت انفجار هائل نرى من خلال وميضه أضلاع الهيكل السداسي متناثرة في فضاء المسرح .. ينبطح المسلحون على الأرض وبشجاعة القط ودهائه يبتعد المثلث إلى الخارج حتى يتوارى خلف الكواليس وإذ تخدم الحركة والنار ويتلاشى الدوي تظهر على (السايك) صورة الهلال تحيط به مئات النجوم السداسية .. ومع ضربات الطبول الصغيرة (مارش) يتقدم الهلال إلى الأمام .. تكبر صورته مزيحة النجوم السداسية .. مائة مساحة (السايك) كلها .. تثبت صورة الهلال الكبير قبل أن تفتح الأضواء في الصالة ويخرج جمهور النظارة ويستمر الضرب على الطبول الصغيرة حتى النهاية.

* * *

مقتطفات

إن عالم صباح الانباري عالم عنيف وقاسي.. يجري في ظاهره واعماقه صراع ضار لا هواده فيه لا تتورع القوى الشريرة الغامضة عن ارتكاب أفظع الجرائم من اغتصاب وقتل في سبيل ترويض الاخير.. فان لم يجد الاغراء تلجأ الى القوة .. الغاشمة .. وهي تتركن الى القوة المسلحة تخدع السذج والانتهازيين وتجندهم ليكونوا أدوات سخرة طيعة لإبادة الخصوم وغالبا ما يجري الصراع غير متكافئ ، فالشر بدمويته ووحشيته مدجج بالرجال والسلاح وبالرغم من ادراك الخيرين هذه الحقيقة فهم يقاومون ببأس أو اندفاع ويهزمون دوما.. ولكن الأمل بانبلاج الصباح يظل حيا في صورة طفل برئ أو امرأة حاملة والحب تلك الطاقة الجبارة رمز الحياة والجمال هو المهدد بالانتهاك.. تروح ضحيته الزوجة والحببية .

إنه عالم تحنشد فيه الأطياف والاشباح والاحلام والكوابيس.. تجوب الدنيا وهي تزرع الرعب والخوف في النفوس تجد متعتها في الهيمنة والتسلط .. في الحاق الأذى والعذاب في الرافضين والمعاندين ..

فيبدو خالق هذا العالم المرعب حاد البصيرة .. يمزق الاقنعة عن وجه هذا العالم .. حيث نرى فيه الآخرين على حقيقتهم ونرى أنفسنا على حقيقتنا .. نراه وهو يصيح بالضحايا بالقاتل القتل والقتيل القاتل .. بالنعوش التي تخفي الاحياء الاموات والاموات الاحياء.. ولا يداني صباح الانباري أي كاتب ميم آخر .. ينفرد بموقفه من الناس والارض والاخلاق موقفا صارما حادا وقاسيا لكن المرء يحس أن المرارة التي تغلف موضوعاته فيها حلاوة الادراك وعذوبة الحب .. وتلك رسالة لم تبلغ الا القلة .

علي مزاحم عباس

مجلة الرواد العدد الاول 1999

نحن هنا ، مع صباح الانباري ، نجد أنفسنا أو على الأقل وجدنا نفسي أنا معه ، في حالة مختلفة ، ومخالفة ، للمألوف ، أعني لما ألفناه واعتدنا عليه ، حتى الآن حالة لا تبغي ترجيح كفة قراءة المسرحية ، على كفة قراءة الأنواع الإبداعية الأخرى. ولا حتى خلق توازن ، فيما

بينها. فقيمة العمل الابداعي ، لا تكمن فيمن ثقلت موازينه .. بالقراء .. ولا تبتهت فيمن خفت موازينه منهم وانما تكمن في كمّ الابداع المتحقق في العمل ، وقدرته على منحه الروح و الحياة ، وما يجري في عروقه من الدم النظيف و المتجدد على الدوام .. إننا هنا مع صباح الانباري ، نطرق باب دنيا أخرى من دنى الإبداع اللامتناهية الذي هو أحد فنائنا وكتابنا المبدعين الموهوبين ، وهو ينحت منذ زمن طويل ، من صبره الحديدي ، ومثابرتة الدؤوب في القراءة و الكتابة و الحياة ، محراثه ، ويحدّه بكثير من الجهد و الجدية ، والكثير الكثير من التآني ، وعدم استفحال الشهرة . لا ليحرت فوق أرض هشة .. رخوة ، مزقتها محاريت الكثيرين ، وبانتت بوسع الجميع حراثتها. وإنما يتصدى لأرض صخرية تصارع محراثه و يصارعها .. ولكن دون أن تتلمه .. بل هو من يحفرُ فيها .. ويترك عليها آثاراً عميقة .. فمواهبه و طاقته الابداعية ، افعمت أكثر من أرض .. فقد كتب ، منذ زمن غير قصير ، المسرحية و الشعر ، وقصيدة النثر ، و القصة القصيرة ، والدراسة النقدية و البحث الأدبي ، ومارس التصوير الفوتوغرافي ، وهو اليوم أحد ابرع المصورين وأبدعهم . كما مارس التمثيل .. في أكثر من مسرحية .. والايخراج .. لأكثر من مسرحية .. ولأن الرجل مسكون بالابداع .. مجنون به ، لا يستقر فوق أرض ، ولا ينزرع في حقل . وان قلقة الزئبقي يدفعه دائماً ، الى البحث عن أرض جديدة.. والاحتراق في نار التجريب.. التي لا تهمد..

كل هذا في صمت جليل ، وبعيداً جداً عن الادعاءات و التبرجات و اللهاث وراء النجاح المزيف الرخيص. وإذا كانت الأرض التي يقف فيها ، اليوم ، أمامكم ، ليست من مكتشفاته ، وقد سبقه اليها مبدعون آخرون.. وإذا كانت حراثته فوقها ليست رائدة في مجالها فيكفيه أنه حلج هذه الأرض ، و وسع مساحتها .. و غرز فيها محراثه أبعد .. وأعمق .. و أنبت فيها .. زهوراً .. أكثر .. وأجمل..

فالأنباري ، وأنا أتابعه ، منذ زمن طويل ، بشغف ومحبة قد كرّس جلّ كتاباته في هذا الاتجاه ، أعني المسرحية الصامتة ، مستفيداً ومتعلماً ، بتواضع كبير ، من تجارب الذين سبقوه .. و .. مضيئاً الى جهود أولئك .. ببراء .. وأصالة.

محي الدين زنگنة

صحيفة أشنونا 2001/6/13

مجلة الشهد العدد 5 2001

تري بأي فلسفة حاول الكاتب الانباري تخريب قناعتنا ليعدل بها من الصخب الى الصمت و ليجعلنا نرنو الى الصمت بوصفه بديلاً جمالياً عن الصوت ؟
وبأي بلاغة خاطب ذائقاتنا في سلسلة طويلة من الحركات القائمة على التعبير الفني المقصود و التي حاولت أن ترتب حركاتنا و سكناتنا نحن المشدودين في لحظة القراءة الى مخيلة التلقي و السرد وهي تمارس فعلها العجيب في الاقناع و تسفيه الحقائق بعدما ترفع بلطف محبب ستائر مسرح الذات ..
تري ألم نمارس نحن هذه الطقوس في سرنا المعلن ؟ الم يكن الصمت يوماً دليلاً الى الصوت ؟

يخيل لي أن مسرح الصمت عودة موفقة الى بعث المسرح الأول ، مسرح الحياة التي كانت الحركة فيه تعني أشياء كثيرة منها: أن طفولة الحياة هي الأصل ، ففي البدء كان الصمت ، ثم كان الصوت ومنها انبجست تراجيديا الحياة وحروبها التي لا تنتهي.

د.فاضل عبود

كلية اليرموك الجامعة - العراق

صحيفة أشنونا 2002/2/16

.... كما السياب - جاء الانباري بصيراً بلغزية الكون الذي يتصاغر يومياً - واطراداً - بفعل سلطة الألكترون وهيمنة فعل الصمت في لجة التعامل علمياً و أدبياً واجتماعياً و تجارياً ، فما كان منه - وهو الخبير بعالمه الساحر - إلا أن يختزل تجربته المعرفية - بعد اقتدار بيّن و متميز - منتبهاً لماضيه الشخصي المشهود ولخزين بلده المسرحي ، وهو الملم بادواته - المتناهية الدقة - ذهنياً و مختبرياً و جماهيرياً ، ليرفدنا بشكل جديد - على ما يبدو لنا - هو عصارة جهد راق ، وتلبية ظرف زمكاني ، توافقاً مع هوس ألفية غير

مألوفة تحسب علينا التطور و التعامل و العلمية مع حركة مؤثر الثواني . نعم - في جو عالمي ملتف بطقوس الصمت أمام اجهزة بارعة النطق دون صدى ، وعظيمة الصدى دون نطق ، يأتي الأنباري ليجعلنا نتناغم مع السميت العام لإيقاع العصر الذي نحب ان ندين بطقوسه ، ونرتقي سلم صمته ، ونطوي حصيرة غابر أيام كنا فيها نمارس "اليوغا" طواعية أمام هبل أو عزي . يأتي الأنباري ليبهرنا - ويدعنا نفخر أننا نساير عالماً جديداً نتحاور وإياه دون " دايلوجات " جاهزة عفا الدهر عليها ، أو ديباجات صارت محفوظات خلدونية في مسرحياتنا ، أو ثيمات من " ألف ليلة وليلة " تقدم الينا لمقوماتنا الدرامية - وعلى رؤوس الأشهاد - و كأننا شباب أمة أخرى لا تفقه من أدبنا شيئاً حتى يعرّق - نسبه الى العراق - الينا . يأتي الأنباري الأستاذ - وبمهارة فنان هو ذاته ، وبمنهجية أكاديمية جدلي - وبروية نسّاجي بلدتنا الوديعه ليقدم لنا مسرحاً نتمناه قبل أن يحببه إلينا و ننتظره قبل أن يعدنا به ، ونسمو به بعد أن نقرأه عنده ، انه الرائد و الرائد لا يكذب أهله.

إبراهيم الخياط

مجلة ألف باء- العراق

العدد 1727 في 2001/10/31

مجلة ضفاف - النمسا - العدد 8 سنة 2001

المحتوى

	المسرحية الصامتة من الفعل الى التجنيس
	الالتحام في فضاءات صماء
	محاولة لاختراق الصمت
	ابتهالات الصمت الخرس
	الهديل الذي يدد صمت اليمامة
	حلقة الصمت المفقودة
	سلاميات في نار صماء
	هرم الصمت السداسي
	شواهد الصمت المروضة
	ازمة صاحب القداسة
	تجليات في ملكوت الموسيقى
	حجر من سجل
	مقتطفات



صباح الانباري

- صباح مسلم عبود
- تولد العراق - بعقوبة ١٩٥٤
- حائز على الترتيب الاول في مسابقة مجلة الاقلام العراقية للنص المسرحي عام ١٩٩٣ ..
- حائز على جائزة الدولة للابداع عام ٢٠٠٠ م.

صدر له:

- طقوس صامتة - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ٢٠٠٠ م (مسرحيات).
- ليلة انفلاق الزمن - اتحاد الكتاب العرب - دمشق ٢٠٠١ م (مسرحيات).
- البناء الدرامي - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ٢٠٠٢ م (نقد).

وزارة الثقافة